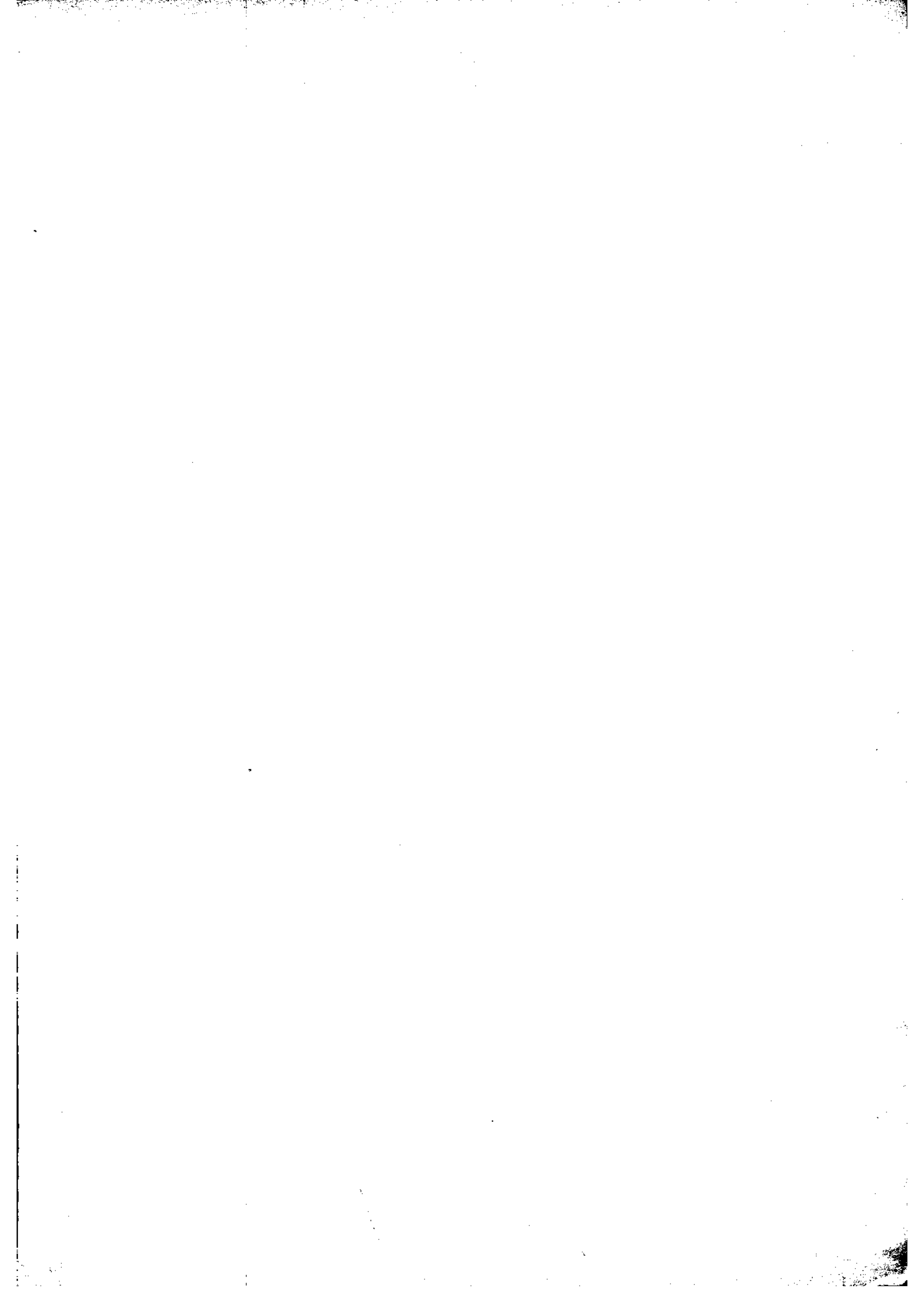
# الصيام في القرآن



كتاب الشعب

الدكتور محمد الدسوقي

# الصيام في القرآن

منشورات

المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع

العدد 7 يوليو 1981

الطبعة الأولى

1981 م



## مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

وبعد فيرى بعض المعاصرين من الفقهاء أن الطريقة التي سار عليها المفسرون الأقدمون، وهي تفسير آيات الذكر الحكيم وسوره على الترتيب القرآني المعروف، طريقة غير سديدة، وكان من مظاهرها اختلاف طرق التفسير باختلاف روح المفسرين، فمن غلبت عليه روح العلوم البلاغية عنى في تفسيره بالتطبيق على قواعدها، ومن غلبت عليه روح النحو والصرف

عنى في تفسيره بإعراب الكلمات وتصريفها، ومن غلبت عليه الروح التاريخية عنى بالقصص والأخبار، وربما أسرف فأدخل في التفسير كثيراً من الإسرائيليات دون تحقيق ولا تمحيص، ومن غلبت عليه الروح الفلسفية حبب إليه البحث في الكائنات، وعنى في تفسيره بهذا الجانب، ومن غلبت عليه روح الجدل الكلامي أو الفقهي تأثر تفسيره بما غلب عليه وهكذا...، وبهذه الأساليب المختلفة المتأثرة بهذه الاتجاهات المتعددة، صعب على الناظر في هذه التفاسير أن يجد هداية القرآن على الوجه الذي يطمئن إليه قلبه، ويشق له طريق الحياة ويلهمه الرشد والسداد.

والطريقة المثلى في تفسير القرآن تختلف عن طريقة الأقدمين؛ فهي تقوم على عرض ودراسة ما اشتمل عليه القرآن من أحكام ومبادىء عرضاً

ودراسة متكاملة، وذلك بأن يعمد المفسر أولا إلى جمع الآيات التي وردت في موضوع واحد ثم يضعها أمامه كمواد يحللها ويفقه معانيها، ويعرف النسبة بين بعضها وبعض، فيتجلى له الحكم، ويتبين المرمى الذي ترمي إليه الآيات الواردة في الموضوع، وبذلك يضع كل شيء موضعه، ولا يكره آية على معنى لا تريده كما لا يغفل عن مزية من مزايا الصوغ الإلهي الحكيم[1].

والواقع أن هذه الطريقة في تفسير القرآن طريقة علمية نافعة؛ لأنها تمكن المفسر من علاج موضوعات عملية كثيرة، كل موضوع منها قائم بنفسه لا يتصل بسواه، ولا يختلط بغيره، فيعرف الناس موضوعات القرآن بعناوينها الواضحة، ويعرفون مقدار صلة القرآن بحياتهم الواقعية.

---

(1) انظر مقدمة كتاب «القرآن والقتال» للمرحوم الشيخ محمود شلتوت.

ومع إيماننا بهذه الطريقة وجدواها في دراسة أحكام القرآن فإننا لا نغمط الأقدمين حقهم وقدرهم، فقد خدموا كتاب الله ـ بالرغم من تباين مذاهبهم واتجاهاتهم ـ خدمة جديرة بكل إعجاب وتقدير، وستظل لطريقة الأقدمين رسالتها في خدمة النص القرآني الكريم.

وهذه الدراسة التي أقدمها عن الصيام في كتاب الله، تأخذ بذلك المنهج الموضوعي إلى حد كبير، فقد جمعت الآيات التي وردت فيها مادة الصيام ودرستها حسب ترتيبها في المصحف دراسة تقوم على توضيح المبادىء العامة والأصول الكلية مع محاولة ربط فريضة الصيام بالحياة الإنسانية دون اهتمام كبير باختلافات المفسرين والفقهاء، اللهم إلا في بعض الأحيان حين لا يكون هناك مفر من الإشارة إلى بعض الآراء مع عدم الإسراف في ذكر مواطن الخلاف.

وقد اقتضى منهج البحث أن أدرس الأحكام التي وردت في بعض الآيات التي ذكرت فيها مادة الصيام، والتي قد يبدو أنه لا علاقة بين الصيام وتلك الأحكام، لأن ذلك أمر ضروري لبيان منزلة الصوم بين العبادات وأثره في تكفير بعض الخطايا والذنوب.

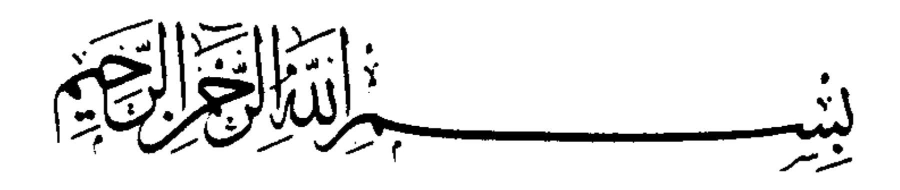
وختمت هذه الدراسة بالحديث عن منهج القرآن في تقرير الأحكام وبخاصة فيما يتعلق بالصيام، مع تفصيل القول بعض التفصيل في أنواع الصيام في الإسلام.

وأردفت الخاتمة بملحق مختصر في صلاة القيام وصدَقة الفطر وصلاة العيد، ورجوت من وراء ذلك أن تكون هذه الدراسة دراسة قرآنية وفقهية معاً وإن كانت لا تسلك منهج الفقهاء في عرض الأحكام..

وكل ما أطمع فيه أن أكون قد قدمت عملا نافعاً أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

«إن أريـد إلا الإصلاح مـا استـطعت ومـا توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب».

الدكتور محمد الدسوقي



## مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله أجمعين وعلى آله وصحابته ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

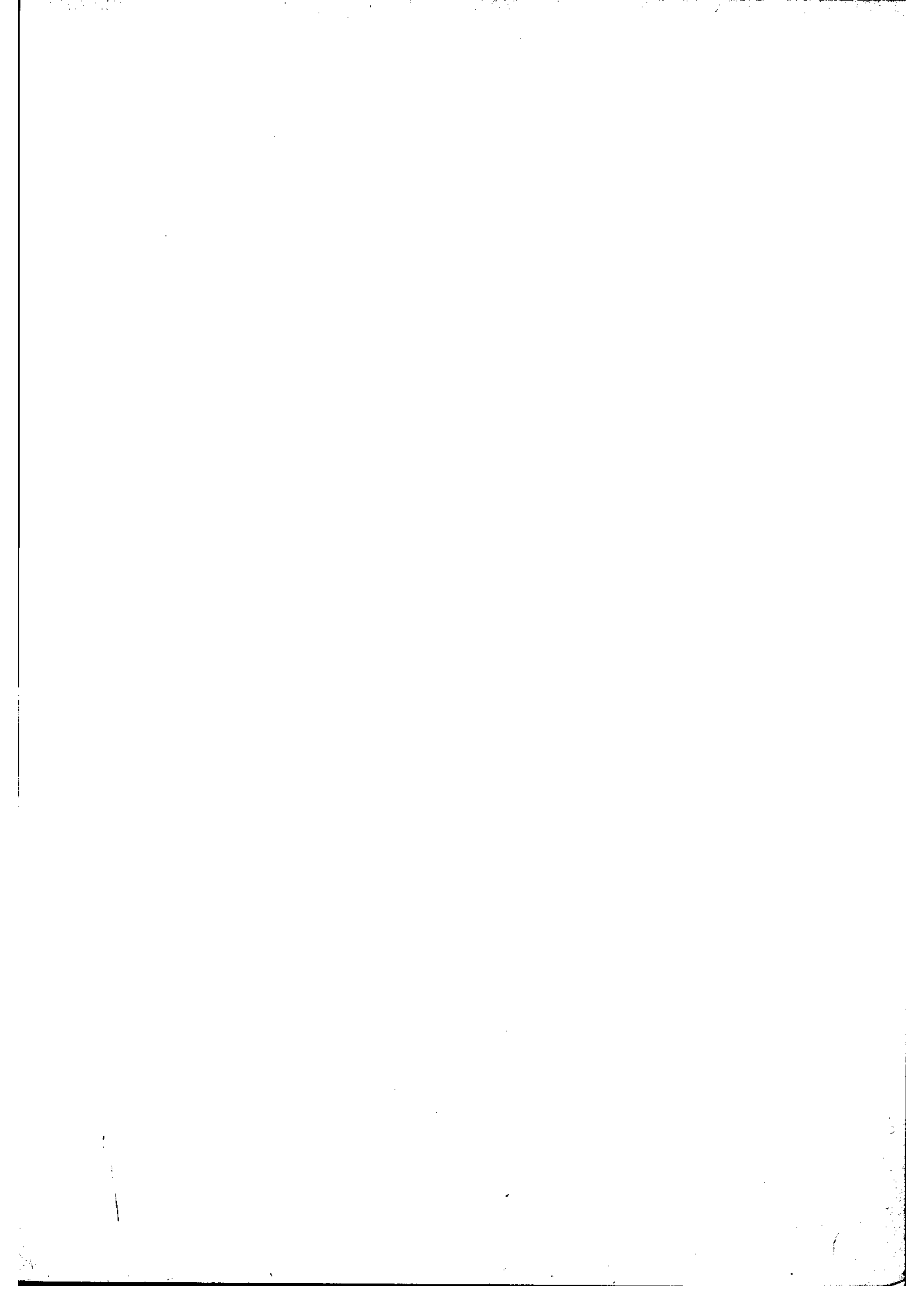
وبعد فهذه هي الطبعة الثانية من «الصيام في القرآن. وكنت أرغب في أن أضيف إليها بعض البحوث المتصلة بموضوعه، وأن أخرّج كل الآيات والأحاديث النبوية التي وردت في هذه الدراسة، ولكن الظروف حالت دون ذلك، فقد كان عليّ أن أعدّ هذا الكتاب لهذه الطبعة في

وقت لا يسمح بغير المراجعة السريعة التي لا تتجاوز تصحيح الأخطاء المطبعية وزيادة بعض التعليقات القليلة الموجزة، وقمت مع هذا بوضع عناوين فرعية لأهم ما اشتملت عليه هذه الدراسة القرآنية من قضايا وموضوعات، وكانت الطبعة الأولى خالية منها، والغرض من ذلك أن يكون هناك لون من التقسيم لفروع وجزئيات موضوع الصيام كما تحدث عنه الكتاب العزيز، ولعلّ في هذا ما ييسر الافادة من قراءته، ويعين على تصور مسائله والإلمام بها..

وقد أشرت في مقدمة الطبعة الأولى إلى أن هذه الدراسة لا تحرص على تتبع الخلافات المذهبية أو تتوسع فيها، وإن كانت لا تغفل منها ما تقتضي ضرورة البحث النص عليه والحديث عنه، فتلك الخلافات ـ على ما لها من أهمية علمية ـ يجب أن تظل في نطاق البحث الأكاديمي

الخالص، وألا يزج بها في الدراسات العامة التي تحاول أن تقدم للقارىء الأحكام والآراء، بعيدا عن الخلافات التي تتوارى في صراعها الحقيقة العلمية في كثير من الأحيان.

والله يتولانا جميعا بهدايته وتوفيقه



# الصَّوم لغَـةً وَشرعَـاً

يحسن قبل الحديث عن مادة الصيام ومشتقاتها في القرآن الكريم أن نتعرف إلى معناها اللغوي، مـع الإشارة إلى الصلة بـين هذا المعنى والمعنى الشرعي للصيام.

يقول ابن فارس في مقاييس اللغة: الصـاد والوا والميم أصل يـدل على إمسـاك وركود في مكان. من ذلك صَوْم الصائم، هو إمساكه عن مطعمه ومشربه وسائر ما منعه، ويكون الإمساك عن الكلام صوماً، قالوا في قوله تعالى: ﴿ إني نذرت للرحمن صوماً ﴾ إنه الإمساك عن الكلام.

وأما الركود فيقال للقائم: صائم، وقال النابغة:

خيل صيامٌ وخيلٌ غيُر صائمةٍ
تحت العَجاج وخيل تَعْلُك اللُّجُما

والصوم ركود الريح، والصوم استواء الشمس عند انتصاف النهار كأنها ركدت عند تدويمها.

وفي أساس البلاغة للزمخشري: صام: صمت، صامت الريح: ركدت. وفي القاموس المحيط للفيروزابادي: صام صوماً وصياماً واصطام: أمسك عن الطعام والشراب والكلام والنكاح والسير. والصوم: الصمت وركود الريح.

وفي لسان العرب لابن منظور: الصوم في اللغة الإمساك عن الشيء والترك له، وقيل للصائم صائم لإمساكه عن الطعام، وقيل للفرس لإمساكه عن العلف مع قيامه.

قال أبو عبيدة: كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم[1].

فهذه النصوص تبين أن الصيام من الناحية اللغوية يدل على الإمساك، أو التوقف عن فعل شيء ما، أو ترك التنقل من حال إلى حال.

ومعنى الصيام شرعاً وثيق الصلة بمعناه من الناحية اللغوية؛ إذ هو الإمساك عن المفطرات من طعام وشراب وغيرهما مع اقتران النية به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وتمامه وكماله باجتناب المحظورات وعدم الوقوع في المحرمات؛ لقول رسول الله ﷺ: ﴿ **من لم يدع[2] قول الزور والعملَ به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه من أجله** ﴾.

---

(1) راجع في المادة معجم مقاييس اللغة وأساس البلاغة والقاموس المحيط ولسان العرب.

(2) تفسير القرطبي جـ 2 ص 254 ط دار الكتب.

وأما مادة الصيام في القرآن الكريم، فقد ورد ذكرها فيه أربع عشرة مرة: سبع في سورة البقرة، ومرتان في كل من المائدة والأحزاب، وجاءت مرة واحدة في النساء ومريم والمجادلة.

وكما سبق أن أشرت في المقدمة إلى منهج علاج مادة الصيام في القرآن، سأحاول هنا تناول هذه المادة مع ملاحظة ترتيبها في المصحف.

# فِي سُورَةُ ٱلبَقَرَة

وردت مادة الصيام في سورة البقرة سبع مرات: ثلاث منها في ثلاث آيات متتاليات، وأربع في آيتين غير متتاليتين، في كل آية مرتان:

والآيات الثلاث هي: ﴿ يأيها الذين آمنوا كُتِب عليكم الصّيام كما كُتِب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدّةٌ من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدْيةٌ طعامُ مسكين، فمن تطوّع خيراً فهو خيرٌ له، وأن تصوموا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون. شهر رمضان الذي أنزل فيه

القرآن هدًى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهرَ فليصُمه، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدّة من أيام أخر، يُريد الله بكم اليسرَ ولا يريد بكم العسرَ، ولتُكْمِلوا العدّة ولتكبِّروا الله على ما هداكم ولعلكم تَشكرون﴾ .

هذه الآيات الكريمة بينت فرضية الصيام على المسلمين، كما بينت أنه فريضة خالدة على المؤمنين بالله في كل دين، وهي قد عينت زمان الصيام، وأشارت إلى أنه ليس زماناً طويلا، فهو أيام معدودات، كذلك أشارت إلى هؤلاء الذين لا يقدرون على الصيام، وماذا يجب عليهم، وأكدت أن الله لا يريد بعباده العسر، ولا يفرض عليهم ما فيه إعنات لهم، أو حرج عليهم، لأنه بهم رؤوف رحيم، وأيضاً أشارت الآيات إلى حكمة الصيام ورسالته الخالدة في تهذيب

النفوس، وتربية الضمائر، وأنه عبادة توجيهية تهدي إلى الخير، وتدفع إلى البر، فكانت خليقة بالثناء والشكر.

والآية الأولى من هذه الآيات الكريمة تتحدث عن ثلاث معانٍ كبار هي:

1 - فرض الصيام على المسلمين.
2 - فرض الصيام على جميع الملل السابقة.
3 - حكمة الصيام

فرض الله صيام شهر رمضان على المسلمين في السنة الثانية من الهجرة وعلى الراجح في شهر شعبان من تلك السنة قبل غزوة بدر[1].

ولكن هل كان على المسلمين صيام مفروض قبل فرض صيام رمضان؟. لقد روى أن

(1) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ 3 ص 254 ط السعادة.

رسول الله ﷺ حين قدم المدينة جعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وأن هذه الأيام الثلاثة كتبها الله على المسلمين ثم نسخت بصيام شهر رمضان، حتى لقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الأيام الثلاثة هي مراد الله تعالى بقوله: **﴿ أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً.. ﴾** الآية.

وجاء عن قتادة قال: قد كتب الله تعالى ذكره على الناس صوم ثلاثة أيام من كل شهر[1]

كذلك روى أن الرسول حين قدم المدينة رأى اليهود تصوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ فقالوا يوم صالح نجى الله فيه موس وبني إسرائيل من عدوهم فقال عليه السلام: أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر المسلمين بصيامه. وأرسل عليه السلام رجلاً ينادي في الناس يوم عاشوراء «أن

(1) تفسير الطبري جـ 2 ص 76ط بولاق.

من كان أكل، فليصم بقية يومه، ومن لم يكن أكل، فليصم فإن اليوم عاشوراء»[1].

... ولذا ذهب أبو حنيفة إلى أن صوم عاشوراء كان واجباً قبل صيام رمضان، على حين ذهب الشافعي إلى أنه لم يزل سنة ولم يكن واجباً قط في هذه الأمة ولكنه متأكد الاستحباب.

وروى عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أن الصيام تدرج في فرضيته، وانتقل في تشريعه من حال إلى حال وأن صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصيام عاشوراء كان أول أحوال الصيام وأن فرض رمضان نسخ صيام تلك الأيام، وكان طوراً جديداً في تشريع الصيام[2] والرأي الراجح أنه لم يكن قبل فرض رمضان صيام

---

(1) المنتخب من السنة جـ 5 ص 257. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(2) المصدر السابق ص 12.

مفروض على المسلمين، وأن الأيام الثلاثة التي صامها الرسول بعد الهجرة وأمر المسلمين بصيامها، كان صيامها تطوعاً لا فريضة، فقد روى عن عمرو بن مرة قال: «حدثنا أصحابنا أن رسول الله ﷺ لما قدم عليهم أمرهم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر تطوعاً لا فريضة، قال: ثم نزل صيام رمضان»[1]

وأما يوم عاشوراء فإن الأمر بصيامه لم يكن للوجوب، ولو كان له لنقل بالتواتر[2]؛ لأنه من العبادات العملية العامة، وقد وصلتنا أخبار مختلفة عن صوم هذا اليوم لا تجزم بفرضية صيامه قبل رمضان، بل يوحي بعضها بأن الأمر بصيام عاشوراء كان في آخر زمن البعثة.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن

---

(1) تفسير الطبري جـ 2 ص 77.

(2) تفسير المنار جـ 2 ص 164.

رسـول الله ﷺ، حـين صـام عـاشـوراء وأمـر بصيامه، قالوا: يا رسول الله إنـه يوم تعـظمه اليهود والنصارى، فقال ﷺ: «فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع» قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ.

وفي روايـة: «لئن بقيت إلى قابـل لأصومن التاسع»[1]

وتنص بعض تلك الأخبار على أن عاشوراء لم يكتب صيامه على المسلمين، فقد روى عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية ابن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما، عـام حج، عـلى المنبر يقول: يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هذا يوم عاشوراء ـ ولم يكتب عليكم صيـامـه ـ وأنـا صـائم فمن شـاء

(1) المنتخب من السنة جـ 5 ص 239.

فليصم ومن شاء فليفطر»[1].

ويعقب الإمام الطبري على الآثار التي رواها في تفسيره عن الصيام قبل رمضان بقوله: لم يأت خبر تقوم به حجة بأن صوماً فرض على أهل الإسلام غير صوم رمضان، ثم نسخ بصوم شهر رمضان وبأن الله تعالى قد بين في سياق الآية أن الصيام الذي أوجبه جل ثناؤه علينا هو صيام شهر رمضان دون غيره من الأوقات بإبانته عن الأيام التي أخبر أنه كتب علينا صومها بقوله: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، فمن ادعى أن صوماً كان قد لزم المسلمين فرضه غير صوم شهر رمضان الذي هم مجمعون على وجوب فرض صومه، ثم نسخ ذلك، سئل البرهان على ذلك من خبر تقوم به حجة إذ كان لا يعلم ذلك

(1) المنتخب من السنة ص 237.

إلا بخبر يقطع العذر[1].

وينفي الإمام محمد عبده[2] أن يكون قد فرض على المسلمين صيام قبل فرض صيام رمضان؛ لأن ذلك لو وقع لنقل بالتواتر هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن العلماء لولعهم بتكثير استخراج الناسخ والمنسوخ من القرآن، لما فيه من الدلالة على سعة العلم، قد حكموا على آيات كثيرة بأنها ناسخة أو منسوخة، وهي محكمة أو غير ناسخة.

إن الفقهاء والمفسرين لم يجمعوا على أن صوماً فرض على المسلمين قبل رمضان ثم نسخ به، كما لم يجمعوا على أن الصيام قد تدرج في فرضيته، وإن ما صامه المسلمون قبل رمضان لم يكن طوراً من أطوار فرض الصيام، ولكنهم أجمعوا على

(1) تفسير الطبري جـ 2 ص 77ط بولاق.

(2) تفسير المنار جـ 2 ص 164.

فرضية الصيام في السنة الثانية من الهجرة، وقد استفيدت هذه الفرضية من هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ يـأيها الذي آمنوا كُتب عليكم الصيام ﴾ فإن القرآن الكريم استعمل فعل كَتب بمعنى شرع وفرض[1] وهو من المعاني اللغوية للكلمة: ﴿ يـأيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى ﴾، ﴿ كُتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾... بل إن التعبير بفعل كتب ولا يفيد فرضية الصوم فحسب، بل يفيد كذلك قوة هذه الفرضية وتأكيدها وشدة العناية بها وأنه لا يجوز إغفالها، ويرمي العرب إلى هذه المقاصد جميعاً حين يستخدمون هذا الفعل بهذه الصيغة في كلامهم. وأضيف في هذه

(1) ورد هذا الفعل بهذا المعنى في القرآن الكريم في نحو عشرين موضعاً، غير أنه جاء بصيغة المبنى للمجهول فيما يحتاج إلى تضحية وصبر ومجاهدة (راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة «كتب»).

الآية توكيد آخر لفرضية الصيام وهو افتتاحها بنداء المخاطبين: ﴿ يأيها الذين آمنوا... ﴾ وذلك أن النداء في اللغة العربية إذا سبق طلباً كان دالاً على شدة اهتمام المتكلم بهذا الطلب وحرصه على تنفيذه[1]...

وإذا كانت هذه الآية التي نحن بصددها قد بينت أن الله كتب علينا الصيام دون تحديد لميقاته، فإن الآيتين التاليتين لها حددتا ميقات هذا الصيام المفروض، فالله سبحانه وتعالى قد أخبر أنه كتب علينا الصيام ثم بينه بقوله عز وجل: ﴿ أياماً معدودات ﴾ فزال بعض الإبهام، ثم بينه بقوله عز من قائل: ﴿ شهر رمضان ﴾ توطيناً للنفس عليه[2].

---

(1) الصوم والأضحية للدكتور علي عبد الواحد وافي. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص. 37.

(2) تفسير الألوسي جـ 1 ص368 ـ ط بولاق.

وكما ثبت فرضية صيام رمضان بما جاء في القرآن الكريم ثبتت فرضيته كذلك بما جاء في السنة الشريفة في عدة أحاديث منها ما رواه طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه، ان أعرابياً جاء إلى رسول لله ﷺ، ثائر الرأس فقال: يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصلاة؟ فقال: «الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئاً»، فقال: أخبرني ما فرض الله علي من الصيام؟ فقال: «شهر رمضان إلا أن تطوع شيئاً»، فقال: أخبرني ما فرض الله علي من الزكاة؟ فقال فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام، قال: والذي أكرمك، لا أتطوع شيئاً، ولا أنقص مما فرض الله علي شيئاً، فقال رسول الله ﷺ[1]: «أفلح إن صدق ـ أو دخل الجنة إن صدق».

---

(1) المنتخب من السنة جـ 5 ص 7

وروى عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان والحج».

وثبتت فرضيته كذلك بعمل الرسول وإجماع الصحابة والمسلمين.

ولذلك يكفر جاحده ومنكر فرضيته، وإن كان مسلمًا يحكم بردته عن الإسلام ويعامل معاملة المرتدين[1].

## الصيام قبل الاسلام

ولأن الصيام عبادة مجاهدة للنفس وانتصار عليها، تحدث القرآن عنه حديثاً يقوم على الترغيب والتحبيب: ﴿ يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم ﴾

---

(1) الصوم والأضحية ص 38.

وما جاءت عبادة في القرآن الكريم نص في فرضيتها على أنها كتبت علينا كما كتبت على الذين من قبلنا مثل الصيام؛ وما ذلك إلا لأن الصيام ينفرد دون سائر العبادات بخصائص كثيرة أهمها أنه سر بين العبد وربه، وأنه عبادة شاقة فهو لون من الجهاد أو هو الجهاد الأكبر كما ورد في بعض الأحاديث النبوية، فكان في حاجة إلى أن يجيء الحديث عنه على هذا النحو من الترغيب والتحبيب، لتقبل عليه النفوس راسخة الإيمان، قوية اليقين، لا ترى فيه عبئاً ثقيلاً تنوء به، ولكن تراه نعمة وخيراً على المؤمنين؛ لأنه فريضة خالدة في كل دين، يصل القلوب بالله ويحملها على استشعار خشيته ومراقبته وتقواه.

وللمفسرين والفقهاء آراء مختلفة حول المراد بالتشبيه في قوله تعالى: «كما كتب على الذين من قبلكم» وأيضاً حول المقصود بالذين فرض

عليهم الصيام كما فرضه علينا، فيرى بعضهم أن التشبيه يرجع إلى وقت الصوم وقدر الصوم، وأن الذين فرض عليهم قبلنا صيام رمضان هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، غير أن اليهود تركوا هذا الصيام إلى صوم يوم من السنة زعموا أنه اليوم الذي أغرق فيه فرعون. وأما النصارى فقد أخذوا بالثقة من أنفسهم، فصاموا قبل الثلاثين يوماً، وبعدها يوماً، قرناً بعد قرن، حتى بلغ صومهم خمسين يوماً، فصعب عليهم في الحر فنقلوه إلى الفصل الشمسي[1].

ويرى آخرون أن التشبيه واقع على صفة الصوم الذي فرض على النصارى وحدهم، أو على أهل الكتاب كما يذهب بعض المفسرين، وهذا الصوم كان من العشاء الآخرة إلى العشاء

---

(1) تفسير القرطبي جـ 2 ص 257، والبحر المحيط جـ 2ص 29.

الآخـرة[1]، وكان حـرمانـاً من الأكل والشـرب والنكاح، فإذا حان الإفطار حرمت هذه الأشياء على من نام، وكذلك كان في النصارى أولا وكان في أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى: **«أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم.. الآية»** في رأى بعض الفقهـاء. ويذهب غـير هؤلاء وأولئك إلى أن التشبيه راجع إلى أصل وجوب الصيام على من تقدم لا في الوقت والكيفية فهو كـما جـاء في تفسـير المنـار[2] تشبيـه الفـرضيـة بالفرضية، ولا تدخل فيه الكيفية والكمية، وهذا الرأي - وإن مال إلى غيره الإمام الطبري ورجح من الآراء التي سردها في تفسيره[3] الرأي القائل

---

(1) انظر تفسير الطبري جـ 2 ص 75، والقرطبي جـ 2ص 256.

(2) راجع تفسير المنار جـ 2 ص 158.

(3) انظر الطبري جـ 2 ص 76.

بأن أهل الكتاب هم الذين فرض عليهم الصيام قبلنا وأن التشبيه واقع على الوقت وهو شهر رمضان ـ أقرب الآراء إلى الفهم والصواب، وأولاها بالأخذ والاعتقاد؛ لأن الآية ليس فيها ما يدل على أن الذين فرض الله عليهم الصيام قبلنا هم النصارى أو غيرهم، وليس في قصرها على قبيل دون قبيل مسوغ عقلي أو شرعي، فالآية عامة فيما يدل عليه، ولم يخصصها خبر أو أثر سلم من الأخذ والرد، وهي بهذه الدلالة العامة تكون أوقع في النفس وأعمق في الشعور، وأشمل في المعنى، ولهذا يكون الرأي القائل بأن التشبيه في الآية إنما هو تشبيه الفرضية بالفرضية فقط رأي معقول ومقبول.

وعلى كل حال فالكل مجمع على أنه كان للأمم السابقة صيام[1] كتبه الله عليهم كما كتب

---

(1) انظر مجلة الوعي الإسلامي العدد التاسع من السنة الأولى ص 11.

علينا صيامنا الذي نؤديه في شهر رمضان، وواقع التاريخ في ذلك يسير مع نص القرآن، فقد حكى لنا أن الصيام كان مشروعاً في جميع الملل حتى الوثنية والتي لا يعرف أصلها السماوي فهو معروف عند قدماء المصريين في أيام وثنيتهم، وقد أخذه عنهم اليونان ثم الرومان، وكان معروفاً في ديانات الصابئين والمانوية والبرهميين والبوذيين إلى ما هو معروف اليوم من صيام اليهود والمسيحيين، فقد ذكر ابن النديم في الجزء التاسع من كتابه «الفهرست» أن شريعة الحرانيين المعروفين بالصابئة أو الصابئين، وهي ديانة قائمة على تقديس الكواكب. تفترض عليهم الصيام ثلاثين يوماً، أولها لثمان مضين من اجتماع آذار (مارس) وتسعة أخر أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول - (ديسمبر)، وسبعة أخر أولها لثمان مضين من شباط (فبراير) وهي أعظمها ولهم تنفل من

صيامهم وهو ستة عشر وسبعة وعشرون يوماً[1].

وذكر ابن النديم أن الصابئين كانوا يصومون الشهر تكريماً للقمر، على حين كان صومهم للأيام التسعة تكريماً لرب البخت، وهو المشتري كما يسميه العرب، وللأيام السبعة تكريماً للشمس وهي الرب الأعظم رب الخير.

وكان صيام الصابئين إمساكاً مطلقاً عن جميع المأكولات والمشروبات من طلوع الشمس إلى غروبها في مدة الشهر والأيام التسعة وأما الأيام السبعة فكانوا فيها «لا يأكلون شيئاً من الزفر (كلمة عامية تطلق على اللحوم وما يستخرج منها) ولا يشربون الخمر»[2].

(1) الفهرست ص 319 ط ليبزج سنة 1872.
وانظر أيضاً الصوم والأضحية ص 16.

(2) انظر المصدر السابق.

وعن المانوية[1] ذكر ابن النديم أيضاً أن لديهم أنواعاً كثيرة من الصيام المرتبط بمواقيت دورية «فإذا نزلت الشمس القوس وصار القمر كله نوراً يصام يومان لا يفطر بينهما، فإذا أهل الهلال يصام يومان لا يفطر بينهما، ثم بعد ذلك يصام إذا صار نوراً يومان في الجدى، ثم إذا أهل الهلال ونزلت الشمس الدلو ومضى من الشهر ثمانية أيام يصام حينئذٍ ثلاثون يوماً يفطر كل يوم عند غروب الشمس. والأحد يعظمه عامة المنانية والاثنين يعظمه خواصهم، كذا أوجب عليهم

---

(1) المانووية نسبة إلى ماني الذي ظهر في إيران في القرن الثالث الميلادي، وأعلن النبوة عام 242 وكانت دعوته خليطاً من البابلية القديمة والمسيحية والزاردشتية الفارسية، وتأثرت بالبوذية والغنوصية تأثراً كبيراً، وفيها مظاهر كثيرة من تقديس الكواكب، وسمو الثنوية كذلك لأنهم يعتقدون بوجود إلهين اثنين: إله للخير وإله للشر. (الموسوعة الميسرة).

ماني[1].

وذكر ابن النديم قبل هذا أن ماني فرض على أتباعه ،سبعة أيام في كل شهر.

وكان صيام المانوية كصيام الصابئة إمساكاً عن الطعام والشراب من طلوع الشمس إلى غروبها.

وأما البرهمية والبوذية وهما من الديانات الهندية، فقد ورد أن شريعة البرهميين فرضت الصيام على طبقة الكهنة أيام الاعتدالين والانقلابين[2]، واليوم الأول والرابع عشر من كل شهر قمري، وجاء في كتب البرهميين المقدسة أنه في أثناء كسوف الشمس يجب الكف عن الأكل والشرب والاتصال الجنسي والصلاة، هذا فيما يتعلق بالطبقات الدنيا، أما الطبقات العليا

(1) الفهرست ص 333.

(2) الاعتدالان: أول فصل الربيع وأول فصل الخريف، والانقلابان: أول فصل الشتاء وأول فصل الصيف.

(رجال الدين ورجال الحرب) فلا يقتصر واجبهم على ما تقدم، بل يحرم عليهم كذلك الانتفاع بشيء من الأطعمة التي تكون بمنازلهم وقت الكسوف ويجب عليهم التصدق بها على غير أفراد طبقتهم بعد تحطيم الآنية التي كانت فيها[1].

ولدى البرهميين أنواع مختلفة من الصيام سوى ما تقدم، منها نوع يسمى «أوب ياس» وهو أن يعين الشخص اليوم الذي يريد صيامه، ويضمر اسم من يتقرب إليه بهذا الصيام، ويتناول طعامه عند الظهيرة في اليوم السابق ليوم صيامه، وينظف أسنانه بالتخليل والسواك، ويمتنع بعد ذلك عن الطعام. فإذا أصبح يوم الصيام استاك ثانية واغتسل وأقام فرائض يومه، وأظهر اسم من يصوم له بلسانه، وبقي على حاله إلى غد يوم الصوم. فإذا طلعت الشمس فهو بالخيار في

(1) الصوم والأضحية ص 21.

الإفطار: إن شاءه في ذلك الوقت وإن شاء أخره إلى الظهيرة [1]

وتفرض ديانة البوذيين الصيام من شروق الشمس إلى غروبها في أربعة أيام من كل شهر قمري يسمونها أيام «اليوبوزاتا uposatha» وهي اليوم الأول والتاسع والخامس عشر والثاني والعشرون، كما أوجبت فيها الراحة التامة، وحرمت مزاولة أي عمل حتى إعداد طعام الإفطار، ولذلك يعمل الصائمون على إعداد طعامهم قبل شروق الشمس من كل يوم من هذه الأيام الأربعة[2].

وجاء في تفسير المنار عن صيام اليهود «... وثبت أن موسى صام أربعين يوماً، وهو يدل على أن الصوم كان معروفاً ومعدوداً من

(1) مجلة الرسالة العدد 1096 ص 3.

(2) الصوم والأضحية ص 12.

العبادات. واليهود في هذه الأيام يصومون أسبوعاً تذكاراً لخراب أورشليم وأخذها»[1].

وجاء في الفقرة الأولى من الإصحاح التاسع بسفر نحميا وهو من الأسفار التاريخية من العهد القديم ما يدل على أن اليهود قد صاموا اليوم الرابع والعشرين من الشهر السابع العبري: «في اليوم الرابع والعشرين من الشهر السابع اجتمع بنو إسرائيل مرتدين المسوح ومعفرين جسومهم بالرماد للاحتفال بيوم الصوم».

ويفهم مما ورد في سفر زكريا أنهم بعد الجلاء إلى بابل كانوا يصومون أياماً أخرى كثيرة دورية لذكرى حوادث مؤلمة في تاريخهم، وأنهم كانوا يسمون كل صيام منها برقم الشهر العبري الذي وقعت فيه الحادثة[2].

(1) تفسير المنار جـ 2 ص 158.
(2) الصوم والأضحية ص 23.

ولـديهم كذلـك أنـواع أخـرى مستحبـة من الصيام تقع في مواقيت دورية ويقومون بها تخليداً لذكرى وفاة أنبيائهم وعظمائهم كموسى وهارون والشهداء، أو لذكرى حوادث أخرى في تاريخهم ويبلغ عددها خمساً وعشرين[1].

وأما النصارى فليس في أناجيلهم المعروفة نص في فريضة الصوم وإنما فيه ذكره ومدحه واعتباره عبادة كالنهي عن الرياء وإظهار الكآبة... وأشهر صومهم وأقدمه الصوم الكبير الذي قبـل عيد الفصح وهو الذي صامه موسى، وكان يصومه عيسى عليهما السلام، والحـواريـون رضي الله عنهم، ثم وضع رؤساء الكنيسة ضروباً أخرى من الصيام وفيها خلاف بين المذاهب والطوائف، ومنها صوم عن اللحم وصوم عن السمك وصوم عن البيض واللبن. وكان الصوم المشروع عند

(1) المصدر السابق ص 24.

الأولين منهم كصوم اليهود يأكلون في اليوم والليلة مرة واحدة، لكنهم غيّروه وبدّلوه بعد ذلك[1].

## الصيام ووحدة الدين

والنص على أن الصيام كُتب علينا كما كُتب على الذين من قبلنا فيه تأكيد لفرضية الصيام والترغيب فيها، وفيه أيضاً إشعار بوحدة الدين في أصوله ومقصده، فدين الله واحد «إن الدين عند الله الإسلام»[2]. ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبلَ منه﴾[3] وَشرع الله إلى خلقه على يد أنبيائه ورسله ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ واحد في جوهره، واحد في غايته وإن تباينت رسوم بعض العبادات في بعض الشرائع ﴿شرع لكم

---

(1) تفسير المنار جـ 2 ص 158.

(2) الآية 19 في سورة آل عمران.

(3) الآية 85 في سورة آل عمران.

من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾[1].

ووحدة الدين تفرض الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وتجعل التفريق بينهم كفراً بالله الواحد الأحد.. ﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنّبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾[2].

وإن بعض ما تعانيه البشرية اليوم من حروب واضطرابات يرجع مصدره إلى تجاهل تلك الحقيقة الخالدة، أو الامتراء فيها، وذلك لأن الإيمان بوحدة الدين في أصوله ومقصده يقضي

(1) الآية 13 في سورة الشورى.
(2) الآية 136 في سورة البقرة.

على جميع صنوف التعصب والتفاخر بين الناس ويدفعهم إلى الإيمان العملي بالإخاء الإنساني ومحاربة التمييز العنصري، وتبادل المنافع والخبرات على أساس من المودة والمساواة، لا على أساس من الاحتكار والاستغلال والسيطرة والاستعلاء.

وأوضح مثل على ما تقاسيه البشرية من قلق واضطراب من جراء عدم الإيمان بتلك الحقيقة الخالدة، ما تقوم به الصهيونية العالمية اليوم من نشاط محموم في مختلف الميادين لتحقيق أحلامها العريضة في الوطن العربي، وإني أومن بأن الحرب العالمية القادمة لن يثيرها الصراع المذهبي بين روسيا وأمريكا، ولكن سياسة اليهود العنصرية الكريهة وتعصبهم الديني الممقوت، ونازيتهم الشريرة التي لا تعرف عدلاً ولا رحمة، والتي تنظر إلى غير اليهود نظرة ملؤها الحقد والكراهية

والعداء ستكون، السبب الظاهر أو الخفي لنشوب حرب لا يعلم غير الله آثارها..!

## الصيام والتقوى

وأما المعنى الثالث الذي اشتملت عليه الآية الكريمة، وهو حكمة إيجاب الصيام علينا فقد أشار إليه قوله تعالى: ﴿**لعلكم تتقون**﴾ والتقوى كلمة جامعة لكل خصال البر والإحسان والمعروف، إنها مفتاح كل خير، وسبيل كل نصر، وآية كل مؤمن ﴿**ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**﴾، ﴿**إنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾، ﴿**ثم ننجي الذين اتقوْا ونذَر الظالمين فيها جثيًا**﴾.

---

إن الصيام فرض لغاية سامية، وحكمة مقدمسة هي تربية النفوس، والسمو بها إلى آفاق

عليا من التطهر والصفاء، فلا تتحكم فيها نزعات الإثم ووساوس الشر، وشهوات الجسد، وإنما تكون دائمًا نقية تقية تخشى الله وترجو رحمته وتهاب حسابه وعقابه..

إن غاية الصيام وثمرته وتربية التقوى في نفس المؤمن، وبعث الشكر لربه الذي أنعم عليه بكل شيء، وجاء في البحر المحيط لأبي حيان: «للصوم فائدتان: رياضة الإنسان نفسه عما تدعوه إليه من الشهوات، والاقتداء بالملأ الأعلى على قدر الوسع»[1].

إن الصيام يبعث على التقوى، ويحض على الإخلاص لله في السر والعلن، وقد ذكر بعض المفسرين[2] أن التعبير بـ «لعل» فيه معنى الإعداد

(1) تفسير البحر المحيط جـ 2 ص 30.
(2) تفسير المنار جـ 2 ص 159.

والتهيئة، وأن الصيام يعد النفوس لتقوى الله وطاعته، وأن هذا الإعداد يظهر من وجوه كثيرة أهمها:

أولا: أن الامتناع عن أهم رغبات الجسد وحاجاته الضرورية امتثالا لأمر الله وتقرباً إليه يحمل على التقوى ومراعاة حدود الله في كل وقت، كما أن هذا الامتناع من ناحية أخرى يضعف تحكم القوى الشهوانية في الإنسان، فلا تسيطر عليه، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ «الصوم جُنّة»؛ أي وقاية، وهي في معناها الشامل وقاية من كل شر ومن كل فساد، فالصوم وقاية من كل ما يسوء الإنسان ويسوء المجتمع ومن كل شر يلحق بالصائمين، وذلك لأنه يكسر الشهوة ويضعف الاتجاه إليها، ويخلص الإنسان من عبودية الجسد وسيطرة الغرائز.

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن

عبد الله بن عمر قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضّ للبصر وأحفظ للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء» والمعنى من قدر منكم على أعباء الزواج فليتزوج، ومن لم تكن له قدرة على ذلك فليصم، فإن الصوم يكسر الشهوة، فيحول دون وقوع الفرد في المحظور.

ولكن كيف يكسر الصوم الشهوة ويضعف الاتجاه إليها؟ يرى كثير من الفقهاء والباحثين أن الامتناع عن أهم حاجات الجسد من طعام وشراب يضعف الإنسان فيعجز عن المعاصي، فالصيام لديهم بطبعه يؤثر في قدرة الإنسان على العبث والمجون، ولا يتيح لقواه الشهوانية فرصة الانطلاق، لأنه يحرمها من مصدر النشاط والحركة، وهو الغذاء، غير أن الصيام لا يضعف

الشهوة؛ لأنه حرمان من أهم حاجات الجسد وإلا كان لوناً من العقوبة لا لوناً من العبادة. والله أرحم بعباده من أن يكتب عليهم ما فيه هلاك لأبدانهم، وضعف لقوتهم وإعنات لهم، والرسول الكريم يقول: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير».

إن ما افترضه الله على عباده من صلاة وصيام وحج وزكاة ليس له بذاته أثر في تقوى القلوب، ولكن لأنه عبادة تصل الإنسان بخالقه، وتشعر بسلطان الله عليه، فلا يضل ولا يشقى، فالصلاة مثلا كما جاء في القرآن الكريم تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي في ذاتها من حيث القيام والركوع والسجود وتلاوة بعض آيات الله لا تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولكن من حيث كونها عبادة تتكرر كل يوم خمس مرات، ويستشعر الإنسان في

كل مرة خشية الله؛ لأنه بين يديه ومطلع عليه، فإن هذا يعصمه من الزلل، وتحول الصلاة بذلك بينه وبين الفحشاء والمنكر.

والصيام يكسر الشهوة لا بالجوع والعطش، ولكن لأنه عبادة سلبية ليس لها مظهر خارجي، وهذه السلبية تمثل عنصر المراقبة الصادقة في ضمير المؤمن، بحيث يصبح مالكاً لنفسه يصرفها حسب الشرع، لا حسب الشهوة[1]. إن الجوع ليس مخ الصوم نفسه، وليس من الصواب أن يكون الجوع طابع الصوم الظاهر عند المتكلمين في الحكمة وفضل الصوم... وحبذا الصوم إمساكاً عن جميع الأهواء والأخطاء ليكون رياضة مصلحة للنفوس، مجدية على الفرد والجماعة، مروضة على ما لا يسهل الارتياض عليه في سائر الأوقات لضعف أو إهمال أو عدم رقابة فيكون

(1) تفسير المنار جـ 2 ص 161 .

رمضان وسيلة إلى التقوى التي رجاها القرآن[1].

ويرى بعض المعاصرين أن الصائم حين يمتنع عن حاجاته البشرية من طعام وشراب وما إلى ذلك فإنه يشعر برغبة تثير انتباهه إلى تلك الحاجات، فكأن الصيام تذكير بمادية الكيان، وبشرية الوجود، وحاجة الإنسان، فلا يستعلي أو يستبد ولا يتجاوز حدود بشريته في كل تصرف من تصرفاته.

إن كل فرد مهما يكن مركزه معرض في بيئته للون من الطغيان يجاوز فيه قدره نوعاً من المجاوزة، فإذا ما رده الصوم بتنبيهه المكرر إلى حاجة الإنسان إلى أكل الطعام، عاد بالصوم إنساناً سوياً[2].

(1) من هدى القرآن في رمضان للمرحوم الأستاذ أمين الخولي ص 47.

(2) المصدر السابق ص 16.

وهذه نظرة عميقة خليقة بالتدبر والتأمل؛ لأنها لا تجعل الامتناع عن أهم رغبات الجسد، مجرد حرمان مؤقت، يؤتى ثماره في مجال الحد من طغيان الشهوات ولكنها تجعله مع هذا آية العبودية ودليل الضعف البشري، فيعرف الإنسان قدر نفسه، ورسالته في الحياة.

ثانيا: إذا كانت بعض العبادات مثل الصلاة والحج والزكاة يمكن أن يدخلها الرياء والنفاق؛ لأن القيام بها يتمثل في أمور يطلع عليها الخلق، ويستوي في أدائها من الناحية الشكلية المخلصون والمنافقون والصالحون والطالحون؛ فإن الصيام عبادة لا يدخلها الرياء ولا يتحقق فيها النفاق؛ لأن أداءها يتمثل في أمور لا يطلع عليها سوى الله، فهو سر بين العبد وربه، وفريضة يرجو الصائم من أدائها مرضاة الخالق بعيداً عن أعين المخلوقين، فأداء هذه العبادة على وجهها المشروع

لا يمكن أن يكون إلا إبتغاء لمرضاة الله وامتثالا لأوامره، ولهذا اختص الله تعالى الصيام بنفسه، ونسبه لذاته، مع أن كل العبادات كذلك، يقول رسول الله ﷺ في حديث قدسي مخبراً عن ربه: «يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي. . . الصوم لي وأنا أجزى به» وفي رواية أخرى: «كل عمل ابن آدم لـه إلا الصوم فـإنه لي، وأنـا أجزى به. . ».

وجاء في تفسير المنار[1]: «فإذا تـرك الإنسان شهواته ولذاته التي تعرض له في عامة الأوقات لمجرد الامتثال لأمر ربه والخضوع لإرشاد دينـه مدة شهر كامل في السنة ملاحظاً عند عروض كل رغبـة له من أكـل نفيس وشراب عـذب بارد وفاكهة يانعة وغير ذلك، أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها، وهو في أشد

(1) تفسير المنار جـ 2 ص 159.

التوق لها، لا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى، والحياء منه سبحانه وتعالى أن يراه حيث نهاه، وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لسعادة الروح في الآخرة».

ولتفرد الصيام بهذا المعنى، أعد الله للصائمين ثواباً جزيلا، فالصيام كما جاء في الحديث الشريف نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان، والله يقول عن أجر الصابرين: ﴿ إنما يُوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾

ثالثاً: إن الصيام يقوي الإرادة، الإنسانية، ويجعل من المسلم رجلاً ماضي العزيمة حر الإرادة، لا تلعب به النزوات أو الشهوات، وذلك لأن من ينتصر على رغبات الجسد ولذاته يسيطر عقلهْ على هواه وإرادته على شهوته، ومن

كان كذلك فقد أصبح مالكاً لزمام نفسه ذا إرادة قوية، لا تستعبده الشهوات ولا ينحرف عن جادة الطريق.

ولأثر الصيام في شحذ الإرادة وجهاد النفس كان واجباً شهراً من كل عام؛ ليظل الإنسان حرّا لا تسترقه شهوة؛ لأن تكرر الشهر يجدد طاقات الصيام التي ربما نال منها مرور الأيام، وما أشبه الصيام للنفس بالمصل للجسم، فكما أن المصل يكسب الجسم قوة تقدره على أنواع خاصة من الجراثيم، كذلك الصيام يكسب النفس قوة تقدره على مقاومة الرغبات والشهوات، وكما أن المصل يجب تكرار التطعيم به كلما مرت فترة معينة حتى تتجدد قدرة الجسم، ولا يفقد مقاومته، كذلك صيام رمضان يجب تكرار مزاولته مرة في كل عام حتى تتجدد قدرة النفس ولا تفقد مقاومتها»[1].

(1) الصوم والأضحية ص 32.

إن الإسلام دين العزة ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ ودين الجهاد والقوة ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرْهبون به عدُوّ الله وعدوكم﴾ ، ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ وهو أيضاً دين السلام والوئام والمحبة والأخوة الإنسانية: ﴿يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ . ودعوة القرآن للجهاد لا تتعارض مع أمره بالسلام والوئام؛ لأن الجهاد كتب على المؤمنين دفعاً للظلم، وإحقاقاً للحق، وإزهاقاً للباطل، حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

والصيام في مشقته وتوجيهه يعد ضرباً من التدريب العملي والنفسي لإعداد المسلمين للحياة العزيزة الكريمة في دنيا يذهب فيها الزبد جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض[1]، إنه

(1) من هدى القرآن في رمضان ص 80.

يمنح الصائمين إرادة صلبة، تقهر الشهوات المسيطرة والنزوات المتحكمة، إرادة لا تعرف المستحيل ولا تنال منها أحداث الحياة. والمسلمون حين فقهوا معنى الصيام فقهاً سديداً، وأدوا هذه الفريضة أداءً محموداً كانوا أذلّة على المؤمنين، أعزّة على الكافرين، كانوا قوة تُهاب وعزيمة تجتاح الشدائد.

إن الجهاد فريضة في الإسلام، والقيام بهذه الفريضة على وجهها المشروع يحتاج إلى رجال ذوي عقيدة وإرادة وشخصية، والصيام يسهم بخط كبير في إعداد الرجال للجهاد والقتال؛ إذ هو مجال تقرير الإرادة الإنسانية والشخصية الإنسانية بالاستعلاء على ضرورات الجسد جميعاً، كما أنه لاختبار مدى الطاعة لله، والاستسلام لفرائضه أيًّا كان فيها من الحرمان.

وهذان عنصران لازمان في إعداد النفوس

لاحتمال مشقة الجهاد في سبيل الله. ومن المصادفات الغريبة أن تقع أشهر المعارك الحربية التي خاضها المسلمون بإيمانٍ وبسالةٍ في شهر رمضان.

رابعاً: الصيام عبادة مستمرة، فالصائم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس في عبادة يذكر الله سبحانه وتعالى، ويستشعر عظمته وحكمته وفضله، وذكر الله هولب العبادة وأساس الطاعة، وهو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، ولهذا لم يكن الامتناع عن الطعام والشراب والنكاح فقط هو الصيام المبرر، فما دام الإنسان في عبادة فلا يخلق به أن يأتي من الأعمال ما يفسد روح هذه العبادة، أو يبطل وظيفتها ورسالتها، وإن بدا من الناحية المادية عملا لا أثر له في صحة العبادة وجوازها.

ومن أجل ذلك نهى النبي ﷺ عن الرفث

والفسوق في القول، واعتبر ذلك في يوم الصوم أشد من سائر الأيام؛ لأنه يفسد العبادة كما يفسد الكلام الصلاة، وقد قال الرسول عليه السلام: «إذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يجهل، وإن جهل عليه أحد فليقل إني أمرؤ صائم».

وقال أيضاً «الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال، ما لم يخرقها بكذب أو غيبة» وقال ميمون بن مهران: «إن أهون الصيام ترك الطعام والشراب» وقال جابر بن عبد الله: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك من المأثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل فطرك ويوم صيامك سواء».

وإذا كان على الصائم أن ينقي صيامه من الشوائب وينأى به عن المناقص ليكون كاملا مقبولا، فعليه أيضاً ليكون الصيام أكثر كمالا أن

يهتبل فرصة هذا الشهر الكريم فيقبل على الله منيباً إليه مجداً في طاعته، يسخو بالمال والطعام وينشر بين الصائمين روح المودة والوئـام، وقد روى أن رسول الله ﷺ كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان.

وعن رسول أنه قال: «من فَطَّر صائما أو جَهَّز غازياً فله مثل أجره..».

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: أفطر رسول الله ﷺ عند سعد بن معاذ فقال: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلَّت عليكم الملائكة».

وما أكرم هذا الدعاء النبوي الذي يرشدنا إلى التآلف والتعاطف في رمضان وفي غير رمضان، وإلى تقدير مكارم الأخلاق لتحيا بين الناس دائمًا تلك القيم الإنسانية الفريدة التي كان محمد عليه

السلام المثل الأعلى لها، وصدق الله حين قال في محكم كتابه عن خاتم رسله وأنبيائه: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ .

والصيام فضلا عن كل ما سبق مظهر رائع من مظاهر وحدة المسلمين وتماسكهم، فهم في مشارق الأرض ومغاربها يعيشون شهراً كاملا، وكأنهم يعيشون في معسكر واحد يفرض عليهم ألواناً من السلوك لا مناص من الحفاظ عليها إن شاءوا لأنفسهم فترة تدريبية تعود عليهم بالخير في الدنيا والآخرة.

والصيام لكل هذه المعاني النبيلة الجليلة وغيرها فريضة عظيمة القدر جزيلة الأجر، تمد المؤمنين بأطيب ما يسلك بهم سبيل الفوز، ويصل بهم إلى درجات الكمال، ويجعلهم من المتقين، ويكفي دلالة على ذلك أن الله تبارك وتعالى خص الصوم بأنه خالص له وأنه هو الذي يجزى به،

كما روى عن الرسول أن الصوم عبادة لا يعادلها عمل، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال: قلت يا رسول الله مُرْني بعمل، قال: عليك بالصوم فإنه لا عِدْل له، قلت يا رسول الله مرني بعمل، قال: عليك بالصوم فإنه لا مثل له. قلت: يا رسول الله مرني بعمل: قال: عليك بالصوم فإنه لا مِثل له.

## «الصيام بين التدريب والتخريب»

ولكن هل صيام المسلمين اليوم يتفق مع ما يشير إليه القرآن من حكم وأغراض سامية؟ هل هذا يثمر التقوى في النفوس، والخشية في القلوب، والاستقامة في السلوك والتعاطف والترابط بين المسلمين؟ هل هذا الصيام تدريب عملي ونفسي للانتصار في معركة الحياة العزيزة القوية؟ هل يعد الصيام المسلمين في هذا العصر

إعداداً يخلق منهم قوة ضاربة عادلة تحمي الحق وتناصر الخير وتأخذ على أيدي البغاة والمفسدين؟!.

إن مما يؤسف له أن صيام المسلمين اليوم - بوجه عام - يختلف في كثير من الوجوه عن الصيام الكامل الذي دعا إليه القرآن، وبين آدابه وفضائله رسول الإسلام؛ بحيث يمكن القول بأن المسلمين لا يأخذون من صيامهم سوى الجوع والعطش!

لقد أصبح رمضان اليوم موسمًا للإسراف والتبذير والكسل والإهمال والترفيه، فالناس يستعدون له بالخزين، وينفقون فيه أضعاف ما ينفقون في غيره من الشهور، وكأن الإمساك عن الطعام والشراب في النهار إنما هو لأجل الاستكثار منه في الليل، وليت الأمر اقتصر على تصرف الأفراد، ولكنه شمل المسؤولين وأهل الرأي في

البلاد الإسلامية، فالمواد التموينية تتضاعف، وساعات العمل الرسمية تقل، وبرامج الإذاعة ونحوها تصطبغ بصبغة الفكاهة والترويح، وليست الفكاهة في ذاتها أمراً محظوراً في الدين، غير أن الاهتمام بها في شهر رمضان وبصورة غير مهذبة في أغلب الأحيان، جعل الصيام في نظر المسلمين فريضة شاقة قاسية، تطلب الراحة والغذاء الدسم، والتسلية البريئة وغير البريئة، واستقر لدى الناس أن رمضان شهر الكنافة والقطايف والسهرات والبرامج الإذاعية الخاصة، لا شهر الكفاح والانتصار والتقوى والعبادة. كذلك مما يؤسف له أن يكون الصيام الذي فرض لتهذيب الأخلاق تكأة لتصرف خاطىء، وسلوك منحرف، فالناس في رمضان تضيق صدورهم وتتبدل طباعهم فلا يكظمون غيظاً، ولا يحسنون تصرفاً؛ بحجة أن الصيام قد أفقدهم

القدرة على التحكم في أنفسهم، فهم ينفعلون لأتفه الأسباب وأوهى العلل، ويأتون من الأعمال أو الأقوال ما تنفر منه الأذواق السليمة، وتأباه الآداب الحميدة.

إن صيام المسلمين اليوم كما ذكر المرحوم الأستاذ أمين الخولي[1] تخريب لا تدريب، تخريب لمعاني الصيام السامية، تخريب للقيم الروحية والمثل الأخلاقية الفاضلة، تخريب للإنتاج والاقتصاد..

إن الصيام لم يفرض ليكون سبيلاً للتبذير والتخمة والكسل، ولا ليكون عذراً يبيح الكلمة النابية، أو الانفعال الأحمق، وإنما فرض لغير ذلك مما سبقت الإشارة إليه، فهل آن للمسلمين أن يدركوا رسالة الصيام كما جاء بها كتاب الله، فلا يخلطون عملا صالحاً بآخر سيئا حتى يكون

(1) انظر من هدى القرآن في رمضان ص 88.

صيامهم ـ شكلا وروحاً ـ تدريباً حقيقياً للقوة في مجالاتها المختلفة، قوة العقيدة، وقوة الأخلاق والأبدان وقوة الإنتاج والاقتصاد، وقوة الرابطة التي تجمع بين المسلمين في كل مكان؛ فقد صرنا إلى عصر لا يحترم غير القوة طريقاً لأخذ الحقوق، وإعزاز الجانب، والقضاء على الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

## الصيام والصحة

وأود قبل دراسة الآيتين التاليتين أن أشير إلى ما يراه بعض المعاصرين[1] من أنه ليس من حكمة إيجاب الصيام أنه منهج صحي يشفي الجسم من بعض الأمراض، وأنه وسيلة لأن يحس الأغنياء قسوة الجوع فيعطفوا على الفقراء، وذلك لأن مثل هذه الأمور لا سند لها من الكتاب ولا من السنة

(1) انظر الصوم والأضحية ص 33، ومن هدى القرآن في رمضان ص 47.

الصحيحة، وتخرج عبادة الصيام عن طبيعتها، وتنقص من قدسيتها وجلالها، وتهوى بها إلى مستوى العادات، وتجردها من أغراضها الروحية السامية، وتلصق بها مقاصد مادية تافهة، تتعلق بالجسم وحاجاته، وأيضاً فهذه الأمور عرضة للشك والارتياب، فقد يرى بعض الباحثين في الطب وعلوم الأغذية أن ليس للصوم في صورته الإسلامية الفوائد الصحية التي ينسبونها إليه، وقد يرى بعض الناس أنه لا يحقق ما يرتبونه عليه من عطف الأغنياء على الفقراء، وأنه لو كان المقصود منه أن يكون وسيلة لأن يحس الأغنياء قسوة الجوع لاقتصر وجوبه على ذوي اليسار، وإذا سرى الشك إلى الغاية والمقصد، فإنه لا يلبث أن يسري إلى العبادة نفسها فتتزعزع عقائد الناس في العبادات، ويضعف إيمانهم بها.

وقد يقال: إن الجوع يخلص الجسم من

الفضـلات والأخلاط الضـارة، فينشط ويصح، وقد ورد في الأثر «جوعوا تصحوا» ولهذا يفيـد الصيام الجسم صحياً فوق ما فيه من فوائد نفسية وروحية.

ومع التسليم بأن الصيام الحسن يفيد الجسم صحياً، فإن الـذي يجب الاهتمام بـه في هذا الصـدد أن وقاية البـدن من أسبـاب الضعف والكسـل أمر دعـا إليه الإسـلام وحث عليـه، ولذلك دعا إلى عدم الإسراف في المأكل والمشرب ﴿ كلوا واشـربـوا ولا تسـرفـوا إنـه لا يحب المسرفين ﴾، ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ ﴿ حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ﴾.

وحث الإسـلام على وقـايـة البـدن وحمـايتـه ينسحب عـلى حيـاة المسلم كلهـا في مـراحلهـا المختلفة، لا على شهر أو فترة معينة، وإن كان

لها دورها في هذه الحماية والوقاية.

إن الصيام في جوهره تربية روحية سامية وليس عادة صحية أو منهجاً غذائياً، ولذا فإن الرأي الـذي يذهب إلى أنـه ليس من حكم الصيـام وأغراضه، فوائده الصحية التي يفيض في الحديث عنها بعض الباحثين رأى له منطقه الذي يسوغه، وهو رأي ينأى بهذه الفريضة الجليلة عن كل ما قد ينال منها، أو يبعث على الشك في حكمتها، ولا ريب في أن النظر إلى الصيام بهذا المعنى، يربأ به عن أن يكون لوناً من العادات الصحية التي تفيـد في بعض الأحيـان دون بعـضهـا الآخر...

إن الجـوع نقمة ومحنـة وليس لجوع الصـوم القصـير ذلك الأثـر الذي تحـدث عنه الفقهـاء والصوفية، وما جوع الصائم في حقيقته إلا ضرب من الأخذ بالاعتدال وعدم السرف في الشهوات،

ولو عمم هذا الاعتدال في صنوف الشهوات جميعاً لتحققت التقوى المرجوة بالصيام[1]، فالقول بأنه قد فرض ليحس الأغنياء قسوة الجوع فيعطفوا على الفقراء قول لا يخلو من شبهة تفسده، أو تثير الشك في قيمته، والأولى أن تظل هذه العبادة بعيدة عن كل ما قد يضعف الإيمان بها، وإن جاز أن يكون أثراً من آثارها.

وأما الآيتان اللتان بعد هذه الآية التي تحدثت عن فرضية الصيام وأشارت إلى حكمته، فتتحدثان عن بعض أحكام الصيام، وتشتملان في الوقت نفسه على بعض العظات والتوجيهات التي لها أثرها في تقوى القلوب، وتهذيب النفوس، والتي تنبىء عن فضل الله ورحمته بعباده، وأنه سبحانه صاحب النعم الجزيلة، وأن هذه النعم تستوجب الحمد والتقدير وتستحق

---

(1) من هدى القرآن في رمضان ص 49.

الثناء والشكر.

تتحدث الآيتان عن وقت الصيام، وعن الأعذار المبيحة للإفطار، وعن الواجب على هؤلاء الذين لا يقدرون على الصيام لعذر مؤقت أو مستمر، وأشارت الآية الثالثة إلى رحمته بعباده فيما يفرض عليهم، كما جاء فيها الأمر بالصيام في قوله تعالى: **﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾** ودلالة هذه الجملة على الأمر بالصيام أنها عبرت عن طلب الصوم بصيغة المضارع المسبوق بلام الأمر، وهي تقوم مقام صيغة الأمر، بل أقوى في الطلب من الأمر نفسه، ومن المقرر أن الأصل في صيغة الأمر وما يقوم مقامها أن تكون للفرضية...

بدأت الآية الثانية ببيان أن الصيام أيام معدودات؛ أي معينات بالعدد أو قليلا؛ لأن القليل يسهل عده فيعد، والكثير يؤخذ جزافاً، وقيل بأن الأيام وصفت بذلك تسهيلا على

المكلف بأن هذه الأيام يحصرها العد، ولهذا وقع الاستعمال بالعدد كناية عن القلائل[1].

والمراد بهذه الأيام شهر رمضان، وليس المقصود بها كما أسلفت تلك الأيام التي صامها المسلمون قبل فرض رمضان ثم نُسخت به؛ لأن هذا يقتضي أن تكون كل آية من هذه الآيات الثلاث قد نزلت مفردة وعلى فترة من الزمن حتى يسلم الرأي القائل بالنسخ بينها؛ لأن معنى النسخ المعول عليه هو: «رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر»[2] ولكن من ينظر في هذه الآيات نظرة دقيقة مستقلة غير مشدودة إلى آراء بعض المفسرين والفقهاء، يجد بينها ترابطاً وثيقاً يستحيل معه عقلا أن تنزل كل آية مفردة، وأن

---

(1) البحر جـ 2 ص 30.

(2) انظر النسخ في القرآن الكريم للأستاذ الدكتور مصطفى زيد (الفصل الأول من الباب الأول).

يكون هناك فرق زمني بين آية وآية في النزول، وذلك لأن سياقها يدل على أنها جميعاً نازلة معاً، فهي تتناول موضوعاً واحداً من حيث فرضيته وميقاته ورخصه، وأن الأمر كما أشار الإمام محمد عبده أمر ولع باستخراج الناسخ والمنسوخ، وهو كما ذهب بعض المعاصرين ليس إلا لعباً بالقرآن وجعلا لآياته عضين[1]

## رمضان والصيام

ولكن لماذا فرض الصيام في شهر رمضان؟

لقد أشار القرآن الكريم إلى الجواب عن ذلك في الآية الثالثة من هذه الآيات الثلاث: ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾.

(1) الميزان في تفسير القرآن للسيد محمد حسين الطباطبائي جـ 2 ص 10 ط طهران.

فالحكمة في تخصيص هذا الشهر بالصيام هي أنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن الـذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور ورسم لهم طريق الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة فحق أن يعبد الله تعالى فيه بما لا يعبد في غيره تذكراً لإنعامه بهذه الهداية وشكراً عليها[1].

قال الفخر الرازي في تفسيره[2]: «أعلم أنه تعالى لما خص هذا الشهر بهذه العبوديـة، بين العلة لهذا التخصيص، وذلك هو أن الله سبحانه خصه بأعظم آيات الربوبية وهو أنه أنزل فيـه القرآن، فلا يبعد أيضاً تخصيصه بنوع عظيم من آيات العبودية، وهو الصوم، ومما يحقق ذلك أن الأنوار الصمدية متجلية أبداً يمتنع عليها الاختفاء والاحتجاب، إلا أن العلائق البشرية مانعة من

(1) تفسير المنار جـ 2 ص 169.

(2) مفاتيح الغيب جـ 2 ص 123 ط الخيرية سنة 1308 هـ .

ظهورها في الأرواح البشرية، والصوم أقوى الأسباب في إزالة العلائق البشرية، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا في ملكوت السموات».

فثبت أن بين الصوم وبين نزول القرآن مناسبة عظيمة، فلما كان هذا الشهر مختصاً بنزول القرآن، وجب أن يكون مختصاً بالصوم».

ولكن ما معنى إنزال القرآن في رمضان؟

من المعروف أن القرآن الكريم لم ينزل جملة على الرسول، وإنما نزل منجمًا؛ تبعاً للمناسبات في أكثر الأحيان؛ وقد اختلف المفسرون والفقهاء في معنى إنزال القرآن في رمضان، فمنهم من ذهب إلى أن القرآن نزل جملة في رمضان من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا فجعل في بيت العزة، ثم أنزل على الرسول مفرقاً بعد دلك،

ومنهم من يفسر نزول القرآن في رمضان بأنه ابتدأ فيه نزوله، ولفظ القرآن كما يطلق على الكتاب الكريم كله يطلق على بعضه الذي كان به ابتداء النزول، ويقبل هذا الرأي كثير من المفسرين قديماً وحديثاً . . .

ويرى بعض المعاصرين[1] أن ما ذهب إليه الفقهاء والمفسرون من تفسير لمعنى إنزال القرآن في رمضان غير سديد، لأنهم قصروا النزول على المعنى المادي من الانتقال والهبوط، وليس هذا كل معنى الكلمة، فقد استعملها القرآن في حسّيات ليس فيها انتقال، ولا هبوط فهو يقول: ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس** ﴾ وليس هابطاً من السماء وهو يقول: ﴿ **يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يُواري سوآتكم** ﴾ وليس يعني انحدار هذا من الأعلى إلى الأرض.

---

(1) انظر من هدى القرآن في رمضان ص 25.

إن من معاني الإنزال تقريب الشيء والهداية إليه، وبهذا يمكن أن يفسر معنى إنزال القرآن في رمضان بتقريبه إلى الناس وهدايتهم إليه، وإيناسهم به وإقبالهم عليه، وهذا المعنى وإن كان لا يتعارض مع ما ذكره المفسرون الأقدمون، فإنه يضفي على شهر الصيام معنى روحياً رائعاً، وهو أنه شهر القرآن ومدارسته والانتفاع بهديه والاغتراف من ينبوعه الذي لا يغيض.

ولقد روى عن الرسول الكريم أنه كان يكثر من تلاوة القرآن في رمضان، وأن جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة في رمضان، وأنه عارضه به مرتين في العام الذي قبض فيه الرسول.

فرمضان شهر القرآن تنزيلا ومراجعة وترتيلا وتدبراً وهداية، فهو أعظم الشهور على الله، ذكر اسمه في كتابه دون سائر الشهور؛ فلم يرد في

القرآن اسم شهر سوى رمضان.

وقد جاء في بعض الروايات أن كتباً سماوية - غير القرآن - نزلت في رمضان[1]، ومع هذا يكفي في بيان مكانة شهر الصيام أن الله تعالى أنزل فيه هدايتنا وجعله من شعائر ديننا ومواسم عبادتنا[2].

وحين نصت الآية على إنزال القرآن في رمضان، ذكرت أن هذا القرآن - ذلك الكتاب الذي ختم الله به الكتب وأنزله على خاتم الأنبياء والرسل - ﴿ **هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ وكان من الممكن استغناء الآية عن هذه

---

(1) في تفسير القرطبي جـ 2 ص 84رواية عن قتادة عن النبي ﷺ قال: «نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت، والقرآن لأربع وعشرين من رمضان».

(2) جـ 2 تفسير المنار ص 172.

العبارة دون أن يتأثر المعنى الذي من أجله نزلت، وهو بيان ميقات الصوم المفروض على المؤمنين ولكن ذكر هذه العبارة ينبه الأذهان إلى أن القرآن لم ينزل لأمة خاصة وإن نزل بلسان عربي مبين، فهو هدى للناس، وكلمة الناس تتسع في مدلولها لتشمل البشرية كلها منذ بعث الله محمداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كذلك ينبه ذكر هذه العبارة إلى المقصد الأول من إنزال القرآن، فهذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قد جاء للناس ليعملوا بما أمر به وينهوا عما نهى عنه، ليكون لهم هداية وفرقاناً بين الحق والباطل، فليس المقصد الأول منه إذن تلاوته في المحافل أو على المقابر، أو حمله على الصدور كالتمائم، أو وضعه في حجرات البيت كلوحة جميلة تزين الجدران.

وهذه العبارة: «هدى للناس وبينات من

الهدى والفرقان» تثير سؤالا هو لماذا تكرر فيها ذكر الهدى، وما الفرق بين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان؟

إن كتب التفسير التي تيسر لي الرجوع إليها قد أغفل بعضها الكلام في هذا وإن فسرت العبارة كما في الطبري[1]، على حين اختلفت بعض التفاسير الأخرى اختلافاً ليس جوهرياً غالباً في التعليل لذكر «وبينات من الهدى والفرقان» بعد هدى للناس.

قال الزمخشري في كشافه:[2] : أي أنزل (وهو

(1) «وأما قوله هدى للناس» فإنه يعني رشاداً للناس إلى سبيل الحق وقصد المنهج، وأما قوله «وبينات»، فإنه يعني وواضحات من الهدى، يعني من البيان الدال على حدود الله وفرائضه وحلاله، وحرامه، وقوله «والفرقان» يعني والفصل بين الحق والباطل (تفسير الطبري جـ 2 ص 85).

(2) الكشاف جـ 1 ص 248ط. بولاق.

القرآن) وهو هداية للناس، وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي إلى الحق ويفرق بين الحق والباطل.

فإن قلت: ما معنى قوله: «وبينات من الهدى» بعد قوله: «هدى للناس»؟ قلت: ذكر أولا أنه هدى، ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال.

وجاء في تفسير الخازن[1] : ذكر أولا أنه هدى، ثم الهدى على قسمين: تارة يكون هدى جلياً، وتارة لا يكون كذلك، فكأنه قال: هو هدى في نفسه ثم قال: هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل، وقيل: إن القرآن هدى في نفسه، فكأنه قال: إن القرآن هدى

(1) جـ 1 ص 129ط. بولاق، وانظر أيضاً الرازي جـ 2ص 184.

للناس على الإجمال وبينات من الهدى والفرقان علـى التفصيـل؛ لأن البينـات هي الـدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام.

ويرى الشيخ سليمـان الجمل في الفتـوحات الإلهية[1] أن الهدى الأول في الأحكام الاعتقادية، والثاني في الفرعية فهما متغايران.

وفي القرطبي[2] ما يفيد أن عطف بينات من الهدى على هـدى للناس هـو من باب عـطف الخـاص على العـام، وأن المراد بـالهدى الأول القـرآن بجملتـه من محكم ومتشـابـه ونـاسـخ ومنسوخ، وأن المراد بالبينات منه، الحلال والحرام والمواعظ والأحكام.

---

(1) جـ 1 ص 166.

(2) القرطبي جـ 2 ص 378، وانظر تفسير الشوكاني جـ 1ص 159. ط. الحلبي.

ويفسر صاحب الميزان[1] الناس في الآية بأنهم العامة الذين لا يسعهم إدراك الأمور المعنوية بالحجة والبرهان، وأما الخاصة المستكملون في ناحيتي العلم والعمل، فالقرآن بينات وشواهد من الهدى والفرقان في حقهم، ومن ثم فإن وجه التقابل بين الهدى والبينات من الهدى هو التقابل بين العام والخاص، فالهدى لبعض، والبينات من الهدى لبعض آخر.

وللإمام محمد عبده[2] رأى في الآية جمع فيه بين تفسيري الزمخشري والخازن إلى حد كبير فيقول عن القرآن: إنه هدى في نفسه لجميع الناس وأنه من جنس الكتب الإلهية ولكنه الجنس العالي على جميع الأجناس، فإنه آيات بينات من ذلك الهدى السماوي، وكتب الله كلها هدى،

(1) الميزان في تفسير القرآن جـ 2 ص 21.

(2) تفسير المنار جـ 2 ص 170 .

ولكنها ليست في بيانها كالقرآن، فهو يمتاز على سائر الكتب السماوية بأنه آيات بينات من الهدى الذي توصف به كلها وبينات من الأمر الإلهي الفارق بين الحق والباطل...

وهذه الآراء على تباينها لم أطمئن عقلياً وقلبياً إلى رأي منها، وإن كان بعضها أقرب إلى المنطق من بعضها الآخر، والذي يبدو لي أن هذا الجزء من الآية فيه إشارة إلى أن الهدى مصدره الإيمان القائم على العقل والوجدان، وإلى أن عنصر التفكير والنظر في الإيمان عنصر أساسي لا يتحقق إيمان راسخ بغيره، فهدى للناس، أي هداية لهم إلى سبيل السعادة في الدارين، وهذه الهداية تشمل كل ما جاء به القرآن وما يتحقق به الإيمان، وذكر وبينات من الهدى والفرقان فيه - فيما أرى - تلميح إلى جانب أو عنصر التفكير في الإيمان، وهو جانب يحظى باهتمام الإسلام

اهتماماً يجعل منه دين العقل والبحث والتدبر **﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾**.

ويكون معنى وبينات من الهدى والفرقان أن القرآن الذي هو هداية للناس فيه الدلائل والشواهد التي تفرق بين الحق والباطل، وسبيل الوقوف عليها استعمال العقل استعمالا ينجي ويهدي **﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾**، **﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾** وبهذا يكون الهدى الثاني هو عين الهدى الأول، وتكون العلاقة بين هدى للناس و «بينات من الهدى والفرقان» هي علاقة البعض بالكل، وجاء ذكر هذا البعض لبيان منزلة العقل في الإيمان والهدى، وهي منزلة ترفض الإكراه في الدين، وتنظر إلى المقلدين والذين ألغوا عقولهم وقالوا: **﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم**

مهتدون ﴾ نظرة سخرية واستهجان، وأنهم لا مكان لهم بين الأنام فهم كالأنعام أو أضل سبيلاً.

## من ذكريات رمضان

وإذا كان الله قد كرّم شهر الصيام بإنزال القرآن فيه، فإن في هذا الشهر ذكريات إسلامية عزيزة لها مكانتها في النفوس، وأثرها في تاريخ البشرية، ففيه كانت غزوة بدر الكبرى التي كانت أول معركة خاضها المسلمون ذياداً عن عقيدتهم، وكان الانتصار فيها بداية لانتصارات باهرة دكت حصون الجهالة والضلالة وقادت الإنسانية إلى طريق الخير والسعادة.

وفي رمضان كان الفتح المبين، ففيه فتح الله على المسلمين مكة المكرمة التي كان فتحها نهاية للأصنام التي عبدها المشركون، وسجدوا لها من دون الله وبداية لدخول الناس في دين الله أفواجاً.

وفي رمضان كانت آخر غزوة غزاها رسول الله وهي غزوة تبوك تلك الغزوة التي تبارى فيها المسلمون بالبذل والإنفاق في سبيل الله، وفي رمضان كذلك انطلق العرب ـ يحملون أرواحهم على أكفهم ـ إلى أوربا، ففتحوا الأندلس وكان وجودهم في تلك القارة نعمة على الحضارة البشرية.

وفي رمضان كذلك وقفت مصر في «عين جالوت» ترد جحافل التتار التي بغت وطغت ودمرت وأهلكت، وسجل التاريخ بطولة مصر وفداء رجالها وشجاعة أبنائها. وكانت معركة رهيبة مزقت شمل التتار وأنقذت فيها مصر الحضارة والبشرية من خطر ما حق وشر مستطير.

إن رمضان شهر الذكريات الغاليات: إنه في كل عام ذكرى النبوة الأولى والرسالة المحمدية، وذكرى الفداء في سبيل العقيدة، ذكرى البطولات

الباهرة التي سطرت أروع آيات النضال والاستبسال. . .

إن صيام رمضان للمسلمين فرصة سنوية تمدهم بالطاقات الروحية والمادية ليظلوا دائمًا خير أمة أخرجت للناس. .

إنه فرصة سنوية تذكرهم بإشراق رسالة الهدى والنور، ليستعيدوا تعاليم تلك الرسالة الخالدة بروح قوية متحررة من أسر الحيوانية فيستمدوا من صيام شهر واحد قوة عام بأكمله في صدق العزيمة، وقوة الإرادة في الثبات على الصراط المستقيم.

وأما قوله تعالى: ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ فقد سبقت الإشارة إلى دلالة هذه العبارة على فرضية الصيام ولكنها مع هذا تحتاج إلى توضيح وبيان لتفسير معنى شهود رمضان، وما

يتعلق به من رؤية الهلال، واختلاف المطالع في البلاد.

ومعنى شهود الشهر[1] الحضور فيه دون سفر أو مرض أو غيرهما مما يسقط الفرضية[2]، فالمريض والمسافر ونحوهما شاهدون للشهر وليس عليهم صيام رمضان فرضاً بشروط سيأتي بيانها، فالعبرة إذن في شهود الشهر بتحقيق القدرة على الصيام فإذا انتفت لعذر مؤقت أو دائم كان حضور الشهر كعدمه في وجوب صيامه.

ويبدأ شهود الشهر بالتأكد من دخوله وذلك يكون إما برؤية الهلال ليلة الثلاثين من شعبان إذا لم يحل دون ذلك حائل من غيم أو غيره، أو

---

(1) انظر الكشاف جـ 1 ص 248 .

(2) يسقط الفريضة عدا السفر والمرض: الصغر والجنون والحمل والرضاع أما الحيض والنفاس فيجب معهما الفطر والقضاء.

بإكمال شعبان ثلاثين يوماً إذا تعذرت رؤية الهلال ليلة الثلاثين لقول رسول الله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُمّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً».

## اختلاف المطالع وتوحيد بدء الصيام

وإذا كانت رؤية الهلال شرطاً لوجوب الصيام، فهل يجب على المسلمين جميعاً الصيام متى ثبتت رؤية الهلال ببلد واحد أو ببعض البلدان فقط؟ اختلف الفقهاء في ذلك، فيرى فريق[1] منهم أنه متى ثبتت رؤية الهلال ببلد لزم الصوم فيه وفي البلاد القريبة منه، لما روى عن كريب أن أم الفضل بنت الحارث بعثته إلى معاوية بالشام، قال: فقدمت الشام فقضيت

(1) انظر أحكام القرآن لابن العربي جـ 1 ص 36ط السعادة رسالة الصيام ص 16 مطبعة حكومة الكويت رمضان 1385 هـ.

حاجتها، واستهل عليّ رمضانُ وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني ابن عباس رضي الله عنهما: متى رأيتم الهلال؟ فقلت: رأيناه ليلة الجمعة، فقال: أنت رأيته؟ قلت: نعم، ورآه الناس، وصاموا وصام معاوية، فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين، أو نراه فقلت: أو لا تكفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ.

ويشير ابن عباس بأمر الرسول إلى قوله عليه السلام: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته.

ويرى فريق آخر أنه إذا ثبتت رؤية الهلال ببلد لزم أن يصوم جميع المسلمين في البلاد المختلفة لا فرق بين القريب والبعيد متى بلغ خبر الرؤية: لأن الأمر عام لجميع المسلمين في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «صوموا لرؤيته..» إنه

أمر بإيجاب الصوم على جميع المكلفين متى تحققت رؤية الهلال.. وأما فهم ابن عباس لهذا الأمر فهو أوفق بالنسبة لعصره وليس لازماً أن نأخذ به في عصرنا، فقد أصبح العالم كله بلداً واحداً من حيث الوقوف على أخباره وأحداثه.

إن اختلاف المطالع في رؤية الهلال ليس كاختلاف مواقيت الصلوات المفروضة، حيث لا تقبل الصلاة بأذان البلاد النائية عن طريق المذياع مثلا، وذلك لأن اختلاف المطالع وإن أدى إلى تباين أوقات الإمساك والإفطار في رمضان فإنه لا يجب أن يؤدي إلى اختلاف بدء أيام الصيام؛ لأن رؤية الهلال في قطر من الأقطار، تثبت أنه هلال جديد بالنسبة إلى أقطار الأرض جميعاً، وإن تأخر ظهوره بضع ساعات في بعض الأقطار.

وإذن فمتى تحققت رؤية الهلال في بلد من البلاد الإسلامية، وجب الصوم على جميع

المسلمين الذين تشترك بلادهم مع بلد الرؤية في جزء من الليل الجديد.

أما أهل البلد التي لا تشارك بلد الرؤية في جزء من الليل الجديد فإنهم يكونون حينئذ في نهار يعتبر آخر نهار من شهر شعبان، وعليهم أن يصوموا النهار الذي يتلو عندهم ذلك الليل الجديد.

إن توحيد بدء الصيام من أقوى العوامل على تمكين الروابط بين الشعوب الإسلامية في جميع الأقطار، وجمعهم على كلمة واحدة وطريقة واحدة وهم اليوم أحوج ما يكونون إلى عوامل التآلف والتقارب واتحاد الكلمة[1].

---

(1) صوم رمضان للأستاذ الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج ص 28 مطبعة الأزهر سنة 1957.

## «حول معنى شهود الشهر»

وعبارة «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» كان يمكن أن يحل محلها «فصوموه»، غير أن ذكر إشهاد الشهر قبل الأمر بالصوم فيه دلالة على أن القرآن خطابُ الله العام لجميع البشر، فهو سبحانه يعلم أن من المواقع ما لا شهور فيها ولا أيام معتدلة، بل السنة كلها قد تكون فيها يوماً وليلة تقريباً كالبلاد القطبية، فلو جاء الأمر بالصيام دون ذكر الإشهاد كان تكليفاً بصوم رمضان بالتعيين، ولا رمضان لهؤلاء الذين يعيشون في البلاد القطبية وبخاصة تلك التي تقع في المنطقة التي تنحصر فيما بين خطي عرض 66,5° شمالي خط الاستواء - 90° وهي درجة القطب الشمالي حيث تعيش قبائل مختلفة مثل الإسكيمو واللاب والفِنّ والتنجس والياقوت، فلا يكون القرآن عاماً ولا خالداً.

وهؤلاء الذين يعيشون في مناطق يطول ليلها في بعض الفصول ونهارها في بعضها الآخر في صورة تجعل الصيام عليهم مستحيلا، إذ يبلغ النهار أحياناً أكثر من عشرين ساعة، وأحياناً يكون النهار أطول من شهر، هم شاهدون للشهر وحاضرون فيه، وعليهم أن يصوموا ويقدروا نهار الصيام بنهار أقرب البلاد المعتدلة إليهم[1].

## متى يجوز الإفطار في رمضان؟

على أن الصيام في الإسلام ليس تعذيباً للجسم ولا إرهاقاً للنفس، فالله رحيم بعباده، ورحمته وسعت كل شيء، ولذلك رخص في الإفطار في الأحوال التي يقترن فيها الصوم بمشقة شديدة لا تقوى معها الأجسام على احتمال الصوم من غير إرهاق.

(1) تفسير المنار جـ 2 ص 174.

هذه الأحوال التي رخص فيها الإفطار كما تحدثت عنها الآيتان هي:

1 — المرض.

2 — السفر.

3 — عدم استطاعة الصوم إلا بمشقة شديدة.

المرض من الأعذار المبيحة للإفطار، ولكن ليس كل مرض يجوز معه الإفطار لدى كثير من أئمة الفقهاء، وإنما يرخص الإفطار مع المرض الذي يشق على المرء ويبلغ به، أو يثبت أن الصوم يزيد المرض، أو يبطىء الشفاء، ويعلم ذلك بأخبار أهل الخبرة من المسلمين الثقات.

وإذا كان المريض في حالة لا يطيق الصوم معها بحال فعليه الفطر واجباً، على حين أنه إذا كان في حالة يقدر معها على الصوم بضرر ومشقة، فيستحب له الفطر، ولا يصوم إلا جاهل

كما يقولون[1].

ويلحق بالمرضى من حيث التعـرض للخطر الجسمي بالصوم المرضع والحبلى إذا خافتـا من الصوم على أنفسهما أو على ولديهما، لما روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: أغارت علينا خيل رسول الله ﷺ، فأتيت رسـول الله ﷺ، فوجدته يتغذى، فقال: «أدن فكل» فقلت: إني صائم، فقال: «أدن أحدثك عن الصوم ـ أو الصيام ـ إن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحامل أو المرضع الصوم ـ أو الصيام ـ» ـ والله لقد قالهما النبي ﷺ كلتيهما أو إحداهما[2]، فيا لهف نفسي ألا أكون طعمت من

---

(1) انظر أحكام القرآن بن العربي جـ 1 ص 33 والقرطبي جـ 2 ص 256.

(2) كلتيهما: الحامل والمرضع، أو قال الحامل فقط والمرضع فقط.

طعام النبي ﷺ.

وللفقهاء آراء مختلفة في الحامل والمرضع من حيث وجوب القضاء عليهما فقط، أو وجوب القضاء مع الكفارة. والرأي الراجح هو ما ذهب إليه الإمام الجصاص[1]، فقد استدل بهذا الحديث أن على المرضع والحامل سواء أخافتا على أنفسهما أم على ولديهما القضاء فقط. لأن الحديث جمع بين المسافر والمرضع والحامل في وضع الصوم، والمسافر بنص الآية عليه القضاء دون الكفارة، فوجب على المرضع والحامل ما وجب على المسافر.

وأما السفر فهو رخصة تبيح الإفطار بنص القرآن وبما روي عن الرسول ﷺ، فقد كان يفطر في سفره كما جاء في الحديث السابق، وكما روي

---

(1) أنظر أحكام القرآن جـ 1 ص 180.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة فصام حتى بلغ عسفان[1]، ثم دعا بماء فرفعه إلى يديه ليُرِيه للناس، فأفطر حتى قدم مكة، وذلك في رمضان، فكان ابن عباس يقول: قد صام رسول الله ﷺ وأفطر، فمن شاء صَام ومن شاء أفطر.

وقد اختلف الفقهاء في جواز الصيام في السفر وأفضليته[2]، فقال الظاهرية وبعض الإمامية: إن الصيام في السفر لا يجوز عن الفرض، بل يكون تطوعاً، وعلى المسافر عدة من أيام أخر؛ لأن المسافر في أيام رمضان سقط عنه الفرض فيها، والفرض عليه في أيام أخر.

وقال جمهور الفقهاء: إن المسافر له أن يفطر وأن يصوم، فإن صام فقد أحيا الشهر، وهو

(1) عسفان بضم العين وسكون السين قرية بين مكة والمدينة.
(2) راجع القرطبي 260/2 ، الألوسي 369/1 ، المنار 166/2 .

مثاب ما دام لا إرهاق في الصوم، وإن أفطر فبرخصة الله أخذ، وإن الله سبحانه وتعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه[1]. كما جاء في الحديث الشريف.

وروي عن حمزة بن عمر الأسلمي رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: أجد فيّ قوة على الصيام في السفر فهل عليّ جناح؟ قال: «رخصة من الله عز وجل فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه».

وقد ورد أن الصحابة كانوا يسافرون مع النبي ﷺ منهم المفطر ومنهم الصائم لا يعيب أحد على الآخر[2]، وأنه كان يأمرهم بالإفطار عند توقع

---

(1) العزائم هي الأمور التي فرضها الله، ومن فضل الله ورحمته أن يثيب من قبل رخصه وأتى بها كما يثبت من أتى بالفرائض لأنه سبحانه يحب إتيان الرخص كحبه إتيان العزائم.

(2) تفسير المنارجـ 2 ص 166.

المشقة، أو فوت واجب كالاستعداد للجهاد مثلا، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام، قال: فنزلنا منزلا فقال رسول الله ﷺ: «إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم» فكانت رخصة، فمنا من صام ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلا آخر، فقال: «إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا» وكانت عزمة فأفطرنا، ثم قال: لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله ﷺ في السفر.

ويؤخذ من الحديث، وجوب الفطر عند الضرورة، وجواز الصيام عند فقدانها، ولهذا يقول بعض الفقهاء بأفضلية الصوم للمسافر إن كان يقدر عليه من غير مشقة، وهذا رأي يمكن الأخذ به في أيامنا، فقد أصبح الصوم في السفر الآن لا يتصور فيه مشقة بالنسبة للماضي، لتوافر

أسباب الراحة للمسافرين، ومع هـذا لا إلزام بالصوم حيث لا مشقة في السفر؛ لأن ذلك يكون مصادمة للنص، ويكون معارضـة لرخصـة الله التي رخصها، وما كان لمؤمن ولا مؤمنة أن يقضي في أمر بما يخالف النص، وأنى يكون لمتدين أن يبطل رخصة الله بعباده

وإذا كان السفر في الآية مطلقاً يشمل الطويل والقصير وسفر المعصية، فإن الرأي الراجح ـ أن مطلق السفر لا يجُوّز الإفطار، وإنما يجوز مع السفر المباح والذي يصح فيه قصر الصلاة[1].

وعلى المريض والمسافر ومن في حكمهما إذا أفطروا أن يصوموا في أيام أخر بقدر ما أفطروا وليس عليهم فدية ولا كفارة، وهذا لصريح قوله

(1) الرأي المعول عليه في مسافة قصر الصلاة أنها 81 كيلو متراً تقريباً.

تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾.

وأما العذر الثالث الذي يبيح الإفطار فهو عدم استطاعة الصيام إلا بأقصى الجهد، فهؤلاء الذين يشق عليهم الصوم ولا يقدرون عليه إلا بمشقة شديدة، ولا أمل لهم في أيام يستطيعون فيها لمرض لا يرجى برؤه، أو لشيخوخة متقدمة لا يرجى معها القدرة - هؤلاء لهم الإفطار وعليهم الفدية يؤدونها وهي طعام مسكين لقوله تعالى: ﴿وعلى الذين يُطيقونه فدية طعام مسكين﴾ وهناك آراء مختلفة في تفسير هذا الجزء من الآية الكريمة، بعضها يذهب إلى أن المقصود بالإطاقة هنا القدرة على الصيام، وأن القادر عليه كان بالخيار إذا شاء صام وإذا شاء أفطر على أن يخرج الفدية، ويرى أصحاب هذا الرأي أن الآية قد نسخت بالأمر بالصيام وأن هذا كان تدرجاً في

تشريع الفدية[1].

ولكن الرأي الذي أخذ به جمهـور المفسرين والفقهاء أن هذا الجزء من الآية خاص بمن يقدر على الصيام بمشقة وجهد وأن معنى الإطاقة ليس القدرة المطلقة على فعل أمر مـا، ولكنه عـدم القدرة على الفعل إلا ببذل أقصى الطاقة.

قال الراغب الأصفهاني[2]: الطاقة اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة، وذلك تشبيه بالطوق المحيط بالشيء، فقوله: «**ما لا طاقة لنا به**» أي ما يصعب علينا مزاولته وليس معناه لا تحملنا ما لا قدرة لنا به.

---

(1) انظر تفسير القرطبي جـ 2 ص 268. والبحر المحيط جـ 2 ص 36.

(2) انظر المفردات في غريب القرآن مادة «طوق».

وجاء في بعض كتب اللغة[1]. وطـوّقني الله أداء حقك، أي قواني، وطوقتكه؛ أي كلفتكه وقوله تعالى «سيطوقون ما بخلوا به» أي يلزمونه في أعناقهم، وعلى الذين يُطوَّقونه[2] أي يجعـل كـالطوق في أعنـاقهم، وهو كقـولك يجشّمـونـه ويكلفونه.

وقـال الإمام محمـد عبده[3]: الإطـاقـة أدنى درجات المكنة والقدرة على الشيء، فـلا تقول العرب أطاق الشيء إلا إذا كانت قدرته عليه في نهاية الضعف بحيث يتحمل به مشقة شديدة.

والآية على هذا الرأي محكمـة غير منسـوخة وهي خاصة بمن يستطيعون الصيام بمشقة شديدة ولا رجـاء لهم في أيام مستقبلة، وبهـذا وردت

(1) انظر في المادة لسان العرب وتاج العروس.
(2) يطوَّقونه قراءة في يطيقونه.
(3) تفسير المنار جـ 2 ص 167.

الآثار عن الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، فقد روي عن ابن عباس[1] قال: رخص للشيخ الكبير أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً، ولا قضاء عليه، وروي عنه أيضاً أنه قال: «وعلى الذين «يطيقونه فدية طعام مسكين» ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان كل يوم مسكيناً.

وقد يفهم من قوله تعالى: ﴿ **فمن تطوع خيراً فهو خير لـه وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون،** ﴾، أن معنى يطيقونه؛ أي يقدرون عليه بدليل أن الآية ذكرت بعد ذلك أن من تطوع بالصيام فهو خير له، ومعنى ذلك أن من لم يصم فلا وزر عليه، غير أن معنى هذا الجزء من الآية هو أن من زاد على تلك الأيام المفروضة المعدودة فهو خير له، والفاء في قوله تعالى: ﴿ **فمن**

---

(1) راجع تفسير القرطبي جـ 2 ص. 268.

**تطوع﴾** تدل على هذا: لأنها تفريع على حصر الفرضية في الأيام المعدودات فما زاد تطوع، ولا تصلح تفريعاً على قوله: **﴿وعلى الذين يطيقونه. . .﴾** الآية[1].

وخلاصة ما تقدم أن المؤمنين على أقسام في الصوم:

الأول : المقيم الصحيح القادر على الصوم بلا ضرر يلحقه ولا مشقة ترهقه، والصوم واجب عليه حتما.

الثاني : المريض والمسافر[2] ويباح لهما الإفطار مع وجوب القضاء؛ لأن من شأن المرض والسفر التعرض للمشقة العارضة، فإذا تعرّضا للضرر بالفعل بأن علما أو ظنا ظنًّا قويًّا بأن

(1) تفسير المنار جـ 2 ص 168.

(2) ويلحق بهما الحامل والمرضع.

الصوم يضرهما وجب الإفطار.

الثالث : من يشق عليه الصوم لسبب لا يرجى زواله كالهرم والمرض المزمن الذي لا يرجى برؤه، وهؤلاء لهم أن يفطروا ويطعموا بدلا عن كل يوم مسكينا[1].

وبعد فهذه الأعذار المبيحة للإفطار. إنما ترجع في اعتبارها أعذاراً حقيقية إلى الصائم وضميره، فهو الذي يدرك تمام الإدراك متى يكون مضطراً إلى الإفطار، ومتى لا يكون، إنه هو الذي يعرف ظروف مرضه أو سفره، وهل تحول

---

(1) تفسير المنار جـ 2 ص 168، وتفسير المراغى جـ 2ص 72.
وإطعام المسكين يكون بتقديم وجبتين كاملتين له من أوسط ما يأكل الناس عادة أو قيمتهما. والمسكين قيل هو الذي لا شيء له وهو أبلغ من الفقير، وقيل عكس ذلك، والذي لا خلاف عليه أنه الذي يحتاج أكثر مما يملك (راجع لسان العرب مادتي: فقر وسكن).

بينـه وبـين أداء فـريضـة الصيـام أولا تحـول، والصائم الذي يرجو من وراء صيامه طاعة ربه وسمو روحه ونفسه، وتهذيب خلقه وسلوكه لن يفـرط أو يهرب من أداء هـذه الفريضـة أخذاً بأسباب ليس لها قوة التأثير في قدرته وإن كانت من الناحية الشكلية أسباباً نصبها الشارع أعذاراً تبيح الأفطار، وذلك لأنه يؤمن بأن الله العليم الخبير لا تخفى عليه خـافية في الأرض ولا في السماء كما أنه يخشى الله قبل أن يخشى الناس.

وإذا كان القصد من الإفطار هو تجنب المشقة المفضية إلى الهلاك أو الضرر، فإن الأمر لا يكون مقصوراً على ما جاء في الآية ولكن حيث تحققت المشقة التي يترتب عليها ضرر أو خطر جاز الإفطار.

على أن هناك مسألة أود الإشارة إليها، وهي أن من كانت طبيعة عملهم تقتضي كفاحاً شاقاً، أو جهداً متواصلا مثل عمال المصانع أو المناجم

وسائقي القطارات والسيارات فهؤلاء بحكم إلفهم لهذا العمل، وبحكم أنه أصبح لديهم عملاً عادياً يؤدى بالرغم من الجهد المبذول أداء لا يشعر بإرهاق أو عنت، ومن ثم لا يجوز لأمثال هؤلاء الإفطار، والأمر في هذا أيضاً موكول إلى الضمير والوجدان.

وإذا كان الله سبحانه قد أجاز الفطر عند الضرورة رحمة بعباده، ودلالة على أن ما افترضه عليهم إنما هو لمصلحتهم، لأنه إن أدّى في بعض الحالات إلى ضرر أو خطر حرم إتيانه، فأي عذر لهؤلاء الذين يتباهون بالفطر، وهم أصحاب قوة وفتوة وليسوا على سفر، وإذا دُعوا إلى مراعاة شعور غيرهم من الصائمين ليخفوا إفطارهم «وإذا بليتم فاستتروا» تشدقوا بكلمات الحرية والرجعية والتقدمية؟!.

إن الصيام كما هو معلوم سر بين العبد وربه،

فلا يعرف الصائم من المفطر إلا من يعلم السر وأخفى، فليتق الله من يجاهرون بـالإثم، فقد أضافوا إلى وزر الإفطار بغير عذر وزر المجاهرة والعلانية وهو أشد جرماً؛ لأنه ينبىء عن استهانة بما كتب الله، ويغري الضعفاء والناشئة بانتهاك حرمات الله. . . !

وإلى هؤلاء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أذكـرهم بما جـاء عن رسول الله ﷺ: «عليكم بالصوم فإنه لا مثل له»، «من أفطر يومـاً من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر وإن صامه».

## تكرار له مدلول

وبعد دراسة ما سبق من الآيات، قد يسأل سائل لماذا تكررت هذه الجملة «فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر» في

الآيتين: الثانية والثالثة؟.

من الآراء التي تعلل لهذا، رأى من يقول بأن المطيقين هم القادرون على الصيام، وأنهم كانوا مخيرين بين الصيام والإفطار مع الفدية، وأن هذا نسخ بالأمر بالصيام، في قوله تعالى: ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾، ولهذا تكرر المرض والسفر لبيان أنهما عذران مبيحان للإفطار، وقد سبق أن المطيقين ليسوا كذلك، وأن الآية محكمة غير منسوخة وفضلا عن هذا فإن ذكر المريض والمسافر مع المطيقين يبطل ذلك الرأي؛ لأنه إذا كان المطيق بالخيار بين الصوم والإفطار، فلماذا كان على المسافر والمريض عدة من أيام أخر، ولم يكونا كالمطيق في الحكم، بل هما أولى.

ويرى بعضهم[1] أن الآية الأولى والثانية

---

(1) تفسير الميزان جـ 2 ص 22.

مسوقتان للتوطئة دون بيان الحكم، وأن الحكم هو الذي بينٌ في الآية الثالثة فلا تكرار، وهذا رأي غير مسلم؛ لأن سياق الآيات ينفي أن يكون بعضها توطئة ومقدمة لبعض، فهي كلها تتحدث عن فرضية الصيام وميقاته وبعض رخصه..

وجاء في المنار[1] أن إعادة هذه الجملة لئلا يتوهم ـ بعد تعظيم أمر الصوم في نفسه وأنه خير ويندب التطوع به وبعد تحديده بشهر رمضان الذي له من الفضل والشرف ما له ـ إن صوم هذا الشهر حتم لا تتناوله الرخصة، أو تتناوله ولكن لا تحمد فيه.

ومع ما في هذا الرأي من وجهة نظر تبدو معقولة، إلا أن في النفس منه شيئاً، وإلا فقد

---

(1) تفسير المنار جـ 2 ص 174.

كان يمكن ذكر الرخصة مـرة واحدة بعـد بيان فرضية الصيام وأثره وفضل رمضان ومكانته. . . !

إن تكرار هذه الجملة ـ فيـما أرى ـ إما لأن المرض والسفر أمران يعرضان للإنسان كثيراً في حياته غالباً، فناسب أن تكرر الرخصة؛ تأكيداً للأخذ بها دون نظر إلى كثرة المرض أو السفر، وإما أن يكون هذا التكرار بعد الأمر بالصيام فيه إشارة إلى أفضلية الصوم في السفر والمرض؛ لأن قوله تعالى: ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ أمر عام بوجوب الصوم على من شهد الشهر، يشمل المرضى والمسافرين والمطيقين وذكر الرخصة للمرضى والمسافـرين مرة ثـانية دون المـطيقين، فهؤلاء لا قدرة لهم على الصيام بغير مشقة ضارة أو مهلكة فلا فائدة من ذكر الرخصة مرة أخرى بالنسبة لهم ـ ذكر الرخصة مرة ثانية لأولئك يشعر بأفضلية الصيام في السفر والمرض، ولا يعني هذا

إهمال الرخصة ولكنه يعني أن تقدير المشقة أو الضرر متروك لضمير المريض والمسافر، وأن من قدر على الصيام فصيامه خير له.

وعلى هذا تكون الجملة في الآية الثالثة قد أفادت معنى جديداً يضيف إلى قدر الصوم ومنزلته، قدراً وفضلاً والله أعلم.

لقد فرض الله علينا الصيام كما فرض غيره من العبادات رحمة بنا وليس فيها فرض حرج أو ضيق أو عسر ومشقة، ولذلك وجب علينا شكره وذكره وتكبيره وحمده اعترافاً بنعمه وإقراراً بربوبيته ورجاء في مزيد فضله وكرمه ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ولتكملوا العدة، ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** ﴾.

وأما الآية التي وردت في سورة البقرة أولا وذكر فيها الصوم مرتين فهي:

﴿ أحلَّ لكم ليلة الصيام الرفثُ[1] إلى نسائكم، هُنَّ لباس لكم وأنتم لباسٌ لهنّ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتابَ عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن، وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيامَ إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهمَ يتّقون ﴾.

وقبل الحديث عن هذه الآية الكريمة أحب أن أذكر أن هذه الآية تفصلها عن الآيات الثلاث السابقة آية قصيرة هي: ﴿ وإذا سألك عبادي عنيٍّ فإني قريبٌ أُجيب دعوةَ الداع إذا دَعانِ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي، لعلهم يَرْشُدون ﴾ وقد أشار بعض المفسرين إلى أن هذه الآية لم

(1) الرفث كناية عن الجماع.

تأت بين آيات تتحدث عن أحكام الصيام إلا لغاية سامية وأن مجيئها هكذا فيه لفتة عجيبة إلى أعماق النفس وخفايا السريرة..

جاء في تفسير المنار: واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة، وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر، عقبه بهذه الآية الدالة على أنه خبير بأحوالهم، سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجاز على أعمالهم تأكيداً له وحثاً عليه[1].

إن الصيام جهاد ومشقة، والصائم الذي استجاب لأمر ربه ولم تتحكم فيه شهوات جسده مجاهد قد أعد الله له ثواباً عظيمًا، وأجراً كبيراً، ويتمثل بعض هذا الثواب فيما اشتملت عليه هذه الآية من فضل الله وعطفه على عباده، فهو قريب منهم، ليس بينه وبينهم وسطاء ﴿ولقد خلقنا

---

(1) انظر تفسير المنار جـ 2 ص 187.

الإنسان ونعلم ما تُوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾، ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾، ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾.

والله سبحانه صاحب هذه المنن هو وحده الذي يجب الاتجاه إليه والإيمان به والمحافظة على كل ما يدعونا إليه محافظة تنبع من القلب وتعي سر ما افترضه الله على عباده وألزمهم به؛ ليؤدي رسالته على أكمل وجه فيكون للناس سبيل هداية للتي هي أقوم ﴿ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾.

إن هذه الآية قد جاءت بين آيات الصيام لتذكرنا بأن الإيمان هو المقصود الأول في إصلاح النفوس، وأن الأعمال إذا لم تصدر عن قلب صادق الإيمان فلا خير فيها ولا أثر لها، فمن يصوم مثلاً اتباعاً للعادة وموافقة للمعاشرين فإن صيامه لا يعده للتقوى والإرشاد، وربما زاده

فساداً في الأخلاق وضراوة بالشهوات. والآية قبل ذلك توحي بمعان جليلة تربط الإنسان بالملأ الأعلى وتجذبه إلى الطاعة المطلقة في يسر وطواعية.

بعد هذا ننظر في تلك الآية التي ذكر فيها الصوم مرتين لنرى ما اشتملت عليه من أحكام الصيام، وفي مستهل دراستها نذكر ما روي في سبب نزولها.

روى البخاري عن البراء قال: كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار فنام لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيْس بن صرمة الأنصاري كان صائمًا - وفي رواية كان يعمل في النخيل بالنهار وكان صائمًا - فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك. وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امرأته فلما رأته قالت:

خيبة لك! فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أحل لكم ليلة الصيام...﴾ الآية.

وروى أن الناس كانوا قبل نزول هذه الآية إذا رقد أحدهم من الليل رقدة لم يحل له الطعام ولا شراب ولا أن يأتي امرأته إلى الليلة المقبلة، فوقع بذلك بعض المسلمين، فمنهم من أكل بعد هجعته، ومنهم من وقع على امرأته فرخص الله ذلك لهم[1].

وذكر الإمام الطبري[2] وهو يفسر هذه الآية آثاراً كثيرة كلها تبين أن المسلمين كانوا إذا جاء وقت الإفطار حل لهم الأكل والشرب والجماع، فإذا صلى أحدهم العشاء أو نام قبلها حرم على نفسه ما أحل له، فلا يأكل ولا يشرب ولا يغشى

(1) تفسير الطبري جـ 2 ص 97.

(2) راجع المصدر السابق.

النساء سائر ليلته ويومه التالي حتى يمسي وكان ذلك شاقاً على المسلمين، فنزل الوحي يبيح الجماع والأكل والشرب في جميع الليل.

وقد يفهم من سبب نزول الآية ومطلعها: «أحل لكم» أن ما كان يفعله المسلمون من ترك الطعام والشراب والجماع بعد صلاة العشاء أو بعد النوم قد فرض عليهم وأنهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على هذا، فكانوا يخونون أنفسم فأباح الله لهم ما حرمه عليهم. وذهب إلى هذا بعض المفسرين وقالوا بأن ما حرم قد نسخ.

ولكن لم يرد أثر صحيح يعتد به في أن صياماً فرض على المسلمين بهذه الصورة ثم نسخ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الصحابة قد فهموا من قوله تعالى: ﴿ **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾ أن التشبيه يتناول كيفية الصوم، وقد روى أن أهل الكتاب كانوا

يصومون كذلك، فكان الصحابة يعتقدون أن ما فرض عليهم من صيام هو مثل ما فرض على أهل الكتاب، وكانوا يحرصون على أداء هذه الفريضة أداء كاملا فاحتاطوا لأنفسهم واجتهدوا بما يرونه أقرب إلى التقوى والصلاح، ثم إن قوله تعالى: «أحل لكم» لا يقتضي أنه كان محرماً، بل يكفي فيه أن يتوهم أن من كمال الصيام أو من شروطه عدم الأكل بعد النوم، وعدم مقاربة النساء بعد، أو مطلقاً وهو كقوله تعالى: ﴿أحل لكم صيد البحر﴾ ولم يكن قد سبق نص في تحريمه[1].

وإذن لا دليل في الآية على أن الصيام قد مر بمرحلة خاصة في فرضيته، وإن ذهب إلى ذلك بعض العلماء.

---

(1) تفسير المنار جـ 2 ص 185.

لقد تحدثت الآية عن علاقة الرجل بزوجته بعد النص على حل النكاح ليـلا في رمضان، وذكـرت بعض أحكـام الصيـام والاعتكـاف، وحذرت في ختامها من القرب من حدود الله فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

إن العلاقة الزوجية كما عبرت الآية ـ وليس كتعبير الله في بيان هذه العلاقة تعبير ـ علاقة تقوم على الامتزاج والتلازم والمحبة والتعاون في السراء والضراء ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾، وما أكرمها من علاقة تفرض على الرجل والمرأة العفة والأمانة والثقة والمودة والملاينـة والمسالمة؛ لتظل الأسرة دائمًا لبنة حية قوية تشد أزر المجتمع وتسهم في تدعيمه وسعادته.

وتشير الآية إلى أن العلاقة المادية أو الجنسية بين الزوج وزوجتـه ليست مجرد شعـور حيواني موصول بالجسد، منفصل عن ذلك الأفق الأعلى

الذي يتجه إليه الإنسان و ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ من المتعة بالنساء، ومن المتعة بالذرية، فكلتاهما من الله، وكلتاهما موصولة بالله، إنها علاقة روحية كريمة الأهداف، سامية المثل، يثاب الإنسان عليها؛ لأنها تقوم على طاعة الله، والمحافظة على حدوده ومراعاة حرماته.

وأما قوله تعالى: ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ﴾ فمعناه أنكم كنتم تفعلون في ليالي الصوم ما تفعلون وأنتم تؤمنون أنكم ترتكبون إثمًا، وتأتون معصية فأنتم تخونون أنفسكم، إذ تعتقدون شيئاً ثم لا تلتزمون العمل به ولهذا نصت الآية على خيانة أنفسهم دون خيانة الله ورسوله كما في قوله تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ﴾ للإشعار بأن الله تعالى لم يحرم عليهم بعد النوم ما حرمه على الصائم في النهار، وإنما ذهب بهم اجتهادهم

إلى ذلك، فهم قد خانوا أنفسهم في اعتقادها فكان كمن يتغشى امرأته ظاناً أنها أجنبية، فعصيانه بحسب اعتقاده لا بحسب الواقع، ولذا قال تعالى ﴿ فتاب عليكم وعفا عنكم ﴾[1].

وهذا المعنى يرشد إلى مسألة هامة وخطيرة تتعلق بالإيمان، فالله تعالى حين عد خيانة النفس إثمًا ولو كانت هذه الخيانة في أمر حلال إنما ينبه المؤمنين إلى أن الإيمان الحقيقي هو - كما قال الرسول عليه السلام - «ما وقر في القلب وصدقه العمل» فالإنسان المؤمن تكون أعماله انعكاساً صادقاً لما يؤمن به، ولهذا فإن من يصدق مع نفسه فيما يؤمن به إنسان يحترمه الإسلام، ولو كان غير مؤمن به، فهو على الأقل ليس إمعة ولا منافقاً ولا مقلداً، وهذا احترام رائع للعقل

---

(1) انظر تفسير المنار جـ 2 ص 186.

الإنساني لم تعرف البشرية له نظيراً في تاريخها الطويل.

وبعد النص على حل النكاح في ليلة الصوم ذكرت الآية أن الشرب والأكل حلال كذلك، وأن النهار هو ظرف الصيام، وأنه يبدأ من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ﴿**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل**﴾.

والمراد بالخيط الأبيض بياض النهار، وبالأسود سواد الليل، كما ورد في الحديث الشريف، فقد روى عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت ﴿**حتى يتبينّ لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود**﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: «إنما ذلك سواد الليل

وبياض النهار».

والتعبير بكلمةيتبين يدل على أن وقت الإمساك، هو الوقت الذي يتضح فيه بزوغ الفجر، فقد استعملت هذه الكلمة ومشتقاتها في القرآن للدلالة على الوضوح والظهور في نحو خمسين موضعاً **﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ﴾ ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا ﴾** وللمفسرين والفقهاء [1] آراء متعددة في تفسير هذه الكلمة لتحديد الوقت الذي يجب على الصائم أن يمتنع فيه عن الطعام والشراب وما يجري مجراهما، ومع اختلافهم في هذا وغلو بعضهم، فإن ما يسير عليه الناس في هذه الأيام من الإمساك عن الطعام في وقت معين

(1) انظر أحكام القرآن لابن العربي. ص 39، القرطبي جـ 3 ص 297.

قبل أذان الفجر بزمن يسير يجب مراعاته والأخذ به فهو أخذ بالأحوط، وقد نهانا الله عن القرب من حدوده؛ لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

ومع هذا يجوز الأكل والشرب إلى أذان الفجر وإذا دعت ضرورة، فمن يستيقظ من نومه في وقت الإمساك لا جناح عليه في أن يتناول شيئاً من طعامه وشرابه، ولكن إذا أذن المؤذن وجب الإمساك عن جميع المفطرات.

ولا بد قبل الفجر من نية يبيتها الصائم[1]، ويجوز عقد النية في أول ليلة من رمضان بالنسبة للشهر كله، وذلك لأنها تميز العبادة عن العادة، وتشعر الإنسان بوجوب إخلاص العبادة لله، ومن الأحاديث التي رويت عن النية ما جاء عن

(1) يقوم مقام النية الاستعداد للصيام مثل القيام للسحور وتحري وقت الفجر.

حفصة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها، عن النبي ﷺأنه قال: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له». . أي من لم ينو الصوم قبل الفجر فصيامه غير صحيح. . .

ولأن الصيام في الإسلام ليس الغرض منه تعذيب الجسد بالجوع والعطش، ولكن تربية النفس وتدريبها على مقاومة الشهوات، كان السحور من خصائص الصيام في الإسلام؛ لأنه يعين عليه، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «استعينوا بطعام السَّحر على صيام النهار، وبالقيلولة على قيام الليل» وقد نقلت عن الرسول الكريم أحاديث متعددة تحض على السحور وتذكر فضله منها: «السحور كله بركة فلا تدَعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء فإن الله عز وجل وملائكته يصلّون على المتسحرين».

ولأثر السحور في الصيام حث الرسول على تأخيره كما حث على تعجيل الفطر، روي عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «لا تزال أمتي بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطر».

والصائم الذي أُحل له في ليلة الصيام الأكل والشرب والنكاح دون قيد أو شرط يحرم عليه نهاراً ما أبيح له ليلا، فكان الأكل والشرب وما جرى مجراهما مثل الدخان بجميع أنواعه، والحقنة الشرجية، وتعمد القيء وكذلك الجماع، والإنزال إذا تعمده الصائم بسبب من الأسباب التي تؤدي إليه عادة، من مفطرات الصيام، بشرط أن يفعلها الصائم عمداً، فإن نسي كان صيامه صحيحاً[1]؛ لما روي عن أبي هريرة رضي

(1) ولكن عليه أن يتم صومه ولا قضاء عليه في بعض المذاهب وفي بعضها الآخر كالمالكية يجب القضاء.

الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال؛ «من أفطر في رمضان ناسياً فلا قضاء عليه ولا كفارة» وعنه أيضاً قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أكلت وشربت ناسياً وأنا صائم فقال: «الله أطعمك وسقاك».

ومن فسد صيامه بسبب من الأسباب السابقة ما عدا الجماع فعليه القضاء فقط، ويرى مالك وأبو حنيفة أن من أفطر متعمداً يجب عليه القضاء والكفارة، وأنا عند هذا الرأي؛ لأن الذي يتعمد الإفطار في رمضان قد ارتكب إثمين: إثم العمد، وإثم ضياع يوم مفروض لا يعادله يوم آخر، فوجب تشديد الجزاء عليه حتى لا يعود إلى ما فعله مرة أخرى وحتى يبقى لشهر الصيام حرمته وقدسيته.

## كفارة الجماع في نهار رمضان

أما الإفطار بالجماع فقد أجمع الأئمة على أنه يوجب القضاء والكفارة بشرط أن يكون الصائم عامداً مختاراً عالماً بالتحريم.

والكفارة الواجبة في هذه الحالة هي:

1 - عتق رقبة.

2 - صيام شهرين متتابعين.

3 - إطعام ستين مسكيناً.

وهي واجبة على هذا الترتيب، فمن لم يجد رقبة يعتقها فعليه صيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً لكل مسكين وجبتان كاملتان من أوسط ما يأكل عادة أو قيمتها.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت قال: «مالك» قال:

وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبة تعتقها»؟ قال: لا، قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين»؟ قال: لا، فقال: «فهل تجد إطعام ستين مسكيناً» قال: لا، فمكث عند النبي ﷺ، فبينما نحن على ذلك أتى النبي ﷺبعرق فيها تمر - والعرَق المكتلَ - قال: «أين السائل» فقال: أنا، قال: خذها فتصدق به فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله؟ فو الله ما بين لابتيها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: «أطعمه أهلك».

وإذا كانت تلك الأشياء تفسد الصيام، فإن هناك أشياء قد يلتبس الأمر فيها على بعض الناس وهي لا تفسد الصيام مثل الحقن التي تعطى للعلاج سواء كانت عضلية أو في الأوردة،

أما التي تعطى للتغذية فيرى بعض المعاصرين[1] أنها لا تفسد الصيام، لأن التغذية عن طريق الأوردة لا تفيد شبعاً ولا رياً؛ لأنها ليست من طريق يوصل إلى المعدة، وإنما هي لمجرد حفظ الحياة من طريق يوصل مباشرة إلى القلب. وعدم وصول الحقن إلى المعدة لا تدل على عدم إبطالها للصيام؛ لأنها ما دامت تحقق الغاية من تناول الطعام والشراب تأخذ حكمها وإن لم تفد شبعاً ولا رياً. ومن الأشياء التي لا تفسد الصيام التقطير في العين والاكتحال واستعمال السواك أو الفرجون.

وطوعاً لحكمة الصيام وأنه لم يفرض لتعذيب الأجسام كان الوصال ـ وهو استمرار الصوم يومين فأكثر بدون تعاطي مفطر بينهما بالليل ـ منهياً منه؛

(1) انظر صوم رمضان ص 22.

لأنـه يضعف البدن، ويـذهب حيويـة الجسم، وذلك تأباه الشريعة الإسلامية.

إن الصيام كما أسلفت تدريب نفسي وعملي للاستعلاء على ضرورات الجسد جميعاً؛ ليكون المؤمنون أهل لحمل الرسالة التي ناطها الله بهم وهي حماية الحق ونشر العدل وقمـع الباطـل، والقضـاء عـلى كـل من يبغي علوا في الأرض وفساداً، فليس الصيام مجرد حرمان من الطعام والشراب وما إليهما كما قد يظن بعض الناس.

وقد نهى الرسول عن الوصال وحذر المؤمنين منه، مع أنه عليه السـلام كان يـواصل؛ لأن الوصال بالنسبة له عبادة اختص الله بها رسوله ﷺ، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا إنك تواصل، قال: «إني لست كهيئتكم، إني يطعمني ربي ويسقيني».

إن الـوصـال خصـوصيـة من خصـوصيـات الرسول، وعلى المؤمنين أن يتبعوا ما أمرهم به نبيهم، فهو مبلغ عن ربه يشرع لهم بأمر الله ما به صلاحهم في الدين والدنيا وإن خفيت عليهم أحياناً الحكمة.

«إن هذا الدين متين فأوغل فيه بـرفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى».

وصدق الله العظيم: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾.

وعـلى المتنطعـين في الدين أن يفقهـوا روح العبادة ورسالتها قبل أن يهتموا بأشكالها وكثرتها.

## الإعتكاف

وإذا كان الصيام من العبادات التي يجب التفـرغ لهـا والتجـرد من شهـوات النفس، ومقاربة النساء في نهار رمضان، فكذلك عبادة

الاعتكاف في المساجد وملازمتها توجب الخلو لها وعدم التمتع بالنساء ما دام المرء ملتزماً بها.

إن الاعتكـاف ـ وهـو الخلوة إلى الله في المسـاجد وعـدم دخـول البيت إلا لضـرورة كالطعام والشراب وقضاء الحاجة ـ سنة وليس بواجب، وهو جائز في كل وقت وهو عبادة قديمة قال الله تعالى: ﴿**وعهدْنا إلى إبراهيمَ وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والرّكع السجود**﴾.

والاعتكـاف في جـوهـره تقـرب إلى الله والتجاء إليه بالاحتباس في المسجد والتجرد من الشهوات فترة قصيرة أو طويلة تكون للنفس بمثابة التذكير بما هو أجدى عليها وأولى بها، فلا تضل سواء السبيل، ولذا كان للاعتكاف فضل عظيم وثواب جزيل، فقد روي عن ابن

عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ، فأتاه رجل فسلم عليه، ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان، أراك مكتئباً حزيناً، قال: نعم يا ابن عم رسول الله، لفلان عَلي حق ولاء[1]، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ فقال: إن أحببت قال: فانتعل ابن عباس، ثم خرج من المسجد، قال له الرجل، أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر - ﷺ - والعهد به قريب، فدمعت عيناه - وهو يقول: «من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق، أبعد

(1) الولاء صلة بين السيد وعتيقه، ويبدو أن هذا الرجل كان عليه من مال الكتابة بقية عجز عن أدائها، فحصلت عنده تلك الكآبة.

مما بين الخافقين»[1].

وإذا كان للاعتكاف تلك المنزلة، وإذا كان مستحباً في كل وقت فإنه في شهر رمضان أجزل ثواباً وآكد استحباباً وقد روي عن الرسول ﷺ أنه كان يحرص على الاعتكاف في شهر رمضان وبخاصة في العشر الأواخر منه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان قال نافع: وقد أراني عبد الله بن عمر المكان الذي يعتكف فيه رسول الله ﷺ.

وكان اعتكاف الرسول في العشر الأواخر من رمضان لالتماس ليلة القدر، ولإحياء الأيام الأخيرة من الشهر الكريم بالعبادة والطاعة، قال أبو سلمة: سألت أبا سعيد ـ وكان لي صديقاً ـ فقال: اعتكفنا مع النبي ﷺ العشر

---

(1) هذا كناية عن تحريم جسده على النار.

الأواسط من رمضـان فخرج صبيحـة عشرين، فخطبنا وقال: «إني أُريتُ ليلة القدر ثم أنسيتها، أو نسيِّتها فالتمسوها في العشر الأواخر في الوتر».

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وجدّ وشدّ المئزرَ».

وشد المئزر قيل: هو كنـاية عن شـدة جده واجتهاده في العبادة، وقيـل: المراد بـه اجتناب النساء، واعتزالهن تفرغاً للعبادة قال الشاعر:

قـومٌ إذا حـاربـوا شـدوا مـآزرهم
عن النســاء ولــو بــاتت بــأطهــار

ولعل في ذكر بعض أحكام الاعتكاف بعد ذكر بعض أحكام الصيام إشارة إلى مكانة الاعتكاف في شهر رمضان وإرشاداً إلى الحرص عليه وترغيباً

في القيام به فضلا عن أن الاعتكاف والصيام تجمعهما بعض الصفات المشتركة التي منها تقوية الإرادة وتهذيب الروح بالتدريب العملي والنفسي المشتركة للاستعلاء على ضرورات الجسد، «**ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد**».

وللاعتكاف آداب وشروط يجب مراعاتها والعناية بها، فشروطه أهلية التكليف مع الطهارة من الجنابة والحيض والنفاس، ومن آدابه الاشتغال بطاعة الله وتلاوة القرآن ومدارسة العلم.

والاعتكاف وإن كان في الأصل سنة إلا أنه يجب بالنذر، فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن عمر سأل النبي ﷺ، قال: كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال: «أوْف بنذرك» فاعتكف ليلة.

* * *

وتحذر الآية في ختامها من تجاوز حدود الله ﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها ﴾ والتعبير بالنهي عن القرب له دلالته وبلاغته، فالإنسان لا يملك نفسه في كل وقت، فأحرى به ألا يعرض إرادته للامتحان بالقرب من المحظورات المشتهاة اعتماداً على أنه يمنع نفسه حين يريد، ولهذا كان الأمر بالنهي عن القرب؛ لتكون هناك منطقة أمان، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ﴿ كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ فتلك تعاليم الله وآياته بينها للناس لتعدهم للتقوى وتبعدهم عن الهوى والإثم والعصيان.

## من أحكام الحج

والآية الأخيرة التي جاءت في سورة البقرة فيها الصوم مرتين هي:

﴿ وأتموا الحجّ والعمرة لله، فإن أحصرتم فم

**استيسر من الهْدى، ولا تحلقـوا رؤوسكم حتى يبلغَ الهدي محلّه، فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففديـة من صيام أو صـدقة أو نسك، فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى، فمن لم يجد فصيامُ ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم، تلك عشرةٌ كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، واتقوا الله واعلموا أن الله شديدُ العقاب﴾.**

تتحدث الآية عن أمور تتعلق بالحج والعمرة هي:

1 ـ الإحصار.

2 ـ ارتكاب بعض المحظورات في فترة الإحرام.

3 ـ التمتع.

وهي في أولها تشير إلى أن الحـج والعمـرة فريضتان، وأن أداءهما يجب أن يكون على الوجه الذي يرضي الله، فالمراد بإتمام الحج والعمرة،

الإتيان بهما تامين، ظـاهراً بـأداء المناسـك على وجهها، وباطناً بالإخلاص لله تعالى وحده.

وإذا كان الباعث على الحج أو العمرة الرياء أو حب السمعة، أو تحقيق غرض دنيوي آخر، لم يكن أداؤهما طاعة لله، أو عبادة مقبولة لديه، فالله سبحانه وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه، والعمل إذا قصد به غير الله كان خبيثاً، والله طيب لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيباً.

ليس الحج رحلة من أجل الحصول على لقب أو مغنم مادي، لكنه رحلة مباركة يقوم بها من يقدر عليها من المسلمـين، ليشهد في بيت الله الحـرام اجتماع المؤمنـين من كل مكـان، ذلك الاجتماع الذي يحقق بين المؤمنين معاني الإخاء والتكافل والتشاور والتناصح، فضلا عما في هذه الرحلة من المعاني الروحية التي تجعل المرء بعدها

وكأنه مولود جديد لم يقترف إثمًا أو يجترح ذنباً.

وأما الإحصار، فمعناه أن يعرض للمحرم بالحج والعمرة، ما يحول بينه وبين إتمامهما من مرض أو عدو أو سجن مثلا. فإذا أحصر المحرم عن ركن من أركان الحج، غلب على ظنه زوال الحصر في مدة يمكنه بعدها إدراك الحج، أو تيقن المعتمر قرب زوال المانع في ثلاثة أيام لم يتحلل من إحرامه حتى يتم حجه أو عمرته، وإن لم يغلب ذلك على ظنه، فله أن يتحلل بذبح ما استيسر من الهدى، وأقله شاة تجزىء في الأضحية، فإن كان الإحصار في الحرم وجب الذبح فيه، وإن كان في الحل فالأحسن أن يرسل الهدى إلى الحرم ليذبح فيه إن أمكن ذلك، وعليه ألا يحل من إحرامه حتى يبلغ الهدى محله، ويذبح فيه، فإن لم يمكنه ذلك ذبح حيث أحصر ولو في غير الحرم، ومن عجز عن الشاة أو نحوها أخرج

بقيمتها طعاماً يجزىء في الفطرة وفرقه على مساكين المحل الذي أحصر فيه، فإن عجز صام عن كل مد يوماً، ولا تسقط الفريضة بذلك عن المحصر ولكن عليه القضاء.

وأما الأمر الثاني الذي تحدثت عنه الآية ويتصل بارتكاب بعض المحظورات في فترة الإحرام فقد ورد في قوله تعالى: ﴿**فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك**﴾.

إن الله جلت حكمته جعل الحج إلى البيت فرضاً على المستطيع مرة واحدة في العمر، وحظر على المحرم أن يحدث في الحرم ما يعكر صفوه، وأمنه من قول أو فعل ﴿**فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج**﴾ وشمل هذا الحظر الإنسان والحيوان والنبات ﴿**وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً**﴾، كما حظر على المحرم من ناحية

ثـانية لبس المخيط والخف أو الحـذاء والـزواج وتقليم الأظافر وإزالة الشعر بالحلك أو القص أو النتف، وكل هذه المحظورات لم يقصد بها سوى أن تكون فترة الحج فترة تجرد كامـل لله وفترة سلام واطمئنان يستمد منها المسلمون في كل عام معاني الحب والتآلف والتعاون على الخير في السراء والضراء.

والله الـرحيم بعباده بـين في هذه الآيـة أن المحرم إذا تعرض في فتـرة الإحرام لمـرض في جسمه أو رأسه فارتكب بعض ما منع منه من حلق شعره أو نتفه، أو تغطية رأسه، أو لبس الثياب المخيطة، فعليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك، والرأي المعول عليه في الصوم أنه ثلاثة أيام، أو إطعام ستةمساكين أو ذبح هدى[1]، لما روي عن كعب بن عُجْرة أنه كان أهلّ في ذي

(1) الهدى: شاة أو نحوها.

القعدة وأنه قمل رأسُه، فأتى عليه النبي ﷺ وهو يوقد تحت قدر له، فقال له: «كأنك يؤذيك هوامّ. رأسك» فقال: أجل. قال: «أحلق واهد هديا». فقال: ما أجد هديا. قال: «فأطعم ستة مساكين». فقال: ما أجد. فقال«صم ثلاثة أيام»[1].

والمحرم مخير بين الصيام والإطعام وذبح النسك؛ أخذاً بما نصت عليه الآية الكريمة.

والتمتع معناه أن يحرم ـ الرجل ـ من غير مكة ـ بعمرة في أشهر الحج حتى إذا أداها أقام غير محرم بمكة إلى أن أنشأ الحج منها في عامه ذلك قبل رجوعه إلى بلده، أو قبل خروجه إلى ميقات أهل ناحيته، فإذا فعل ذلك كان متمتعاً لأنه تحلل من إحرامه بالعمرة، وتمتع بما كان

---

(1) تفسير القرطبي جـ 2 ص 361.

محظوراً عليه وهو محرم، وفي هذه الحالـة يجب عليه ما أوجب الله على المتمتع ذبح هدى يوم النحر أو قبله في رأي بعض الفقهاء، وإعطائه للمساكين بمنى أو بمكة، فمن لم يجد الهدى لعدمه أو عدم المال صام ثلاثة أيام بمكة وسبعة أيام إذا رجع إلى أهله، وليس له صيام يوم النحر بإجماع المسلمين، واختلف في صيام أيام التشريق. وهذا كله على من لم يكن من أهل مكة، فمن كان من أهلها فلا شيء عليه إذا تمتع.

ويفهم من الآية أن هناك حجاً واعتماراً على غير هذه الطريقة ـ طريقة التمتع ـ وقد ذكر العلماء أن الحـج والعمرة عـلى ثـلاثـة ضـروب هي: التمتع، والإفراد، والقران واختلف في أفضلها؛ لتعارض الأحاديث في ذلك، وقد سبق تفسـير التمتع أما القران فهو أن يحرم بالحـج والعمرة معاً، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج أو

العكس، والإفراد معناه أن يحرم بالحج وحده، ثم يعتمر بعد أدائه.

والآية في ختامها تدعو إلى تقوى الله ومراعاته حرماته؛ لأنه سبحانه يعلم ما تكنه الضمائر والسرائر وهو شديد العقاب.

وصيام الفدية أو التمتع صيام كفارة، وهو صيام يقصد به التقرب إلى الله وطلب مغفرته بسبب فعل أمر محظور، أو مفضول، وسيأتي فيما يلي ذكر بعض الأسباب الأخرى لهذا النوع من الصيام...

# فِي سُورَةُ ٱلنِّسَاء

## القَتْل الخَطَأ

جاءت مادة الصيام في سورة النساء مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وما كان لُمؤْمن أن يقتلَ مُؤْمناً إلا خطأً، ومن قتل مؤْمناً خطأً فتحرير رقبة مؤْمنة وديةٌ مسلّمةٌ إلى أهله، إلا أن يصَدّقوا فإن كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبةٍ مؤمنةٍ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فديةٌ مُسَلَّمة إلى أهله وتحريرُ رقبةٍ مؤمنة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبةً من الله وكان الله عليمًا حكيمًا﴾.

موضوع هذه الآية القتل الخطأ وآثاره، وهي

تشير في مستهلها إلى أن القتل العمد محرم، لأنه كبيرة لا ترتكب مع إيمان، فما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً عمداً.

**﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيمًا ﴾.**

ويقول الرسول صلوات الله وسلامة عليه: «إن هذا الإنسان بنيان الله، ملعون من هدم بنيانه» ويقول: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق».

ويصور الإمام ابن حزم شناعة جريمة القتل في قوله:

«لا ذنب عند الله عز وجل بعد الشرك أعظم من شيئين: أحدهما تعمد ترك الصلاة الفرض حتى يخرج وقتها، والثاني قتل مؤمن أو مؤمنة

عمداً بغير حق»[1].

«وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ» إن هذا الجزء من الآية يقرر مبدأ وهو نفي أن يقتل مؤمن مؤمناً اللهم إلا أن يقع ذلك عن خطأ لا يمكن التحرز عنه، وهنا تواجهنا في الآية ثلاث حالات: اثنتان منهما يفترض النص وقوع القتل الخطأ على مؤمن، أما الثالثة فيفترض وقوع القتل الخطأ على فرد من قوم معاهدين أو ذميين، ولو لم يتوافر شرط الإيمان.

الحالة الأولى: أن يقع القتل الخطأ على مؤمن أهله مؤمنون، فيجب عندئذ تحرير رقبة مؤمنة، ودية تسلم إلى أهله، وأما تحريرالرقبة المؤمنة فهو إشارة إلى أن تحرير نفس هو إحياء لها في حس الإسلام، لأنه يعيدها إلى جو الحياة الإنسانية الكريمة الذي هبطت عنه لسبب من الأسباب،

(1) المحلى جـ 10 ص 341.

وهي كفارة عمن قتل نفساً مؤمنة، وأما الدية فتسكين لثائرة النفوس، وشراء لخواطر المفجوعين، وتعويض لهم عن شيء مما فقدوا، ما دام رد الحياة ذاتها مستحيلا، وهي واجبة إلا أن يتنازل ولي المقتول عنها صدقة وإحساناً.

الحالة الثانية: أن يقع القتل الخطأ على مؤمن أهله كفار معادون للمسلمين ففي هذه الحالة لا دية، لأنه لا يجوز أن يدفع المسلمون مالهم لعدوهم ليحاربهم به، ويتقوى عليهم بسببه، ولكن تحرير رقبة مؤمنة تعويضاً للحياة وللمؤمنين عن ذلك القتيل.

الحالة الثالثة: أن يقع القتل الخطأ على فرد من قوم معاهدين أو ذميين معصومي الدم بحكم ما بينهم وبين المسلمين من ميثاق، ولا يذكر النص إن كان هو مؤمناً أو كافراً أو ذمياً، مما يشعر بأن الميثاق يسوى بين الجميع في الدية

والفدية، وأنه يرتفع إلى مرتبة الإيمان فيما يختص برعاية حقوق المعاهدين، وهي قمة في رعاية العهد سامقة بلا جدال.

فمن لم يجد رقبة يعتقها ودية يدفعها فعليه صيام شهرين متتابعين «توبة من الله» وهنا نجدنا أمام صفحة أخرى جديدة، إنها صفحة تطهير نفس القاتل بحبسها عن شهواتها شهرين متتابعين تتوجه فيهما إلى الله واهب الحياة «وكان الله عليمًا حكيمًا» عليمًا بمسارب النفوس، حكيمًا في تقدير ما يصلحها من العلاج.

إن صيام القاتل شهرين متتابعين لدليل واضح على أن الخطأ في القتل خطأ ليس كغيره من الأخطاء التي ينسحب عليها قول الرسول الكريم: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» وذلك يؤكد حرص الإسلام على حماية الإنسان وحفظ حياته ويدعو المؤمنين إلى

اليقظة والبعد عن كل ما يؤدي إلى ارتكاب هذه الجريمة ولو خطأ، وكان الصيام في حالة العجز عن الفدية علاجاً نفسياً يتخلص به القاتل من أدران الإثم وأوزار الأخطاء فلا يقع في خطأ آخر.

# فِي سُورَةُ المَائِدَة

## حَوْلَ الإيمَان

ذكرت مادة الصيام في هذه السورة مرتين في آيتين مختلفتين، تعرضت الآية الأولى منهما للحديث عن الإيمان والحنث فيها وكفارتها ومراعاة حفظها وعدم بذلها في كل مجال، وهذه الآية هي:

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقَّدتم الأيمان، فكفارته إطعامُ عشرة مساكين من أوْسط ما تُطعمون أهليكم، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيامُ ثلاثة أيام ذلك كفارة إيمانكم إذا حلفتم واحفظوا

**إيمانكم، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ﴾.**

والآية في مستهلها تبين أن لغو اليمين لا إثم فيه ولا مؤاخذة عليه، وإنما المؤاخذة تكون في الإيمان المؤكدة المقصودة؛ وهذا يعني أن الإيمان التي لا تصاحبها النية المؤكدة هي اللغو الذي تجاوز الله عنه ولم يؤاخذ عليه...

قال الراغب في المفردات[1]: اللغو من الكلام ما لا يعتدّ به، وهو الذي يورَد لا عن روية وفكر، فيجري مجرَى اللَّغا، وهو صَوْت العصافير ونحوها من الطيور... ويستعمل اللغو فيما لا يعتد به، ومنه اللغو في الإيمان، أي ما لا عقد عليه، وهو ما يجري وصلا للكلام بضرب من العادة قال: **﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في**

(1) راجع المفردات مادة (لغا).

إيمانكم ﴾، ومن هذا أخذ الشاعر فقال:

ولستَ بمأخوذٍ بلغو تقوله
إذا لم تُعمد عاقدات العزائم

وقد اختلف العلماء[1] في تحديد اليمين اللغو، فيرى بعضهم أنها قول الرجل في كلامه لا والله وبلى والله غير معتقد لليمين ولا مريدها، وهي بهذا تشمل يمين المزاح والهزل والحديث الذي لا ينعقد عليه القلب.

وجاء عن الإمام مالك: أحسن ما سمعت في هذا أن اللغو حلف الإنسان على الشيء يستيقن أنه كذلك ثم يوجد الأمر بخلافه فلا كفارة فيه. وقال سعيد بن جبير: هو تحريم الحلال.

وروي عن ابن عباس ـ إن صح عنه ـ قال:

---

(1) انظر تفسير القرطبي جـ 3 ص 99، 100، وأحكام القرآن للجصاص جـ 2 ص 453 ط تركيا.

لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان.

وقال النخعي: هو الرجل يحلف ألا يفعل الشيء ثم ينسى فيفعله.

ويرى الإمام محمد عبده[1] أن الصحيح من أقوال العلماء أن اليمين اللغو هي اليمين من غير قصد بدليل قوله تعالى: ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان﴾ أي بما صممتم عليه منها وقصدتموه، فكل ما ينطق به اللسان دون قصد للحلف ولا تعمد للقسم فهو لغو لا كفارة فيه، ولكنه لا يجدر بمسلم مؤمن أن يجعل الله عرضة لإيمانه في كل تصرف من تصرفاته.

وبهذا يتضح أن اليمين المقصودة المؤكدة هي المؤاخذ عليها، وتكفير هذه اليمين كما ذكرت الآية يكون بإطعام عشرة مساكين من أوسط ما

---

(1) انظر تفسير المنار جـ 7 ص 40.

يطعم الحالف منه أهله، أو كسوتهم بما يعد كسوة في العرف، وهي في الغالب ثوب واحد يستر العورة، أو تحرير رقبة، ولم تنص الآية على وصف خاص في الرقبة فيصح المؤمنة وغيرها خلافاً لبعض الفقهاء. فإذا عجز الحالف عن الإطعام أو الكسوة أو تحرير الرقبة ـ وهو في كل ذلك بالخيار ـ فكفارة يمينه صيام ثلاثة أيام متوالية أو غير متوالية على خلاف بين الفقهاء[1].

ومع أن الصيام جاء في الآية مطلقاً غير مقيد بوصف معين، فإن الرأي القائل[2] بالتتابع يؤدي رسامة الصيام في مثل هذه الحالة، لأن الذي يجمع بين هذه الأشكال المتنوعة للكفارة هو تحقيق الشعور بالخطأ وأداء الثمن في صورة من الصور،

(1) انظر تفسير القرطبي جـ 6 ص 283، والألوسي ج 3ص 374

(2) تفسير الألوسي جـ 3 ص 374.

ولهذا يكون تتابع الصيام محققاً لإيجاد حالة شعورية تستمر فترة من الزمن وتعيش في ظلها النفس ثلاثة أيام متواليات.

وإذا كنت قد رجحت في تحرير الرقبة الإطلاق ورجحت في الصيام التقييد بالتتابع؛ فلأن ذلك يتمشى مع أهداف القرآن في موقفه من الرق وطبه للنفس البشرية.

على أن اليمين لا تكون إلا بلفظ الجلالة، فقد حظرت أحاديث كثيرة الحلف بغير الله تعالى؛ سداً للذريعة المفضية إلى عبادة غير الله، وذهب الإمام ابن تيمية وهو في معرض حديثه عن الإيمان وأقسامها إلى أن إيمان المسلمين التي بمعنى الحلف بالله، مقصود الحالف بها تعظيم الخالق لا الحلف بالمخلوقات كالحلف بالنذر والحرام والطلاق والعتاق كقول: إن فعلت كثيراً فعلى صوم شهر أو الحج إلى بيت الله أو الحل

على حرام لا أفعل كذا أو إن فعلت كذا فكل ما أملكه صدقة أو نحو ذلك، فإن هذا يعد يميناً تجب فيها كفارة، وإن لم يكن بلفظ الجلالة، وقد روي عن الرسول ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه»[1].

والآية في ختامها تدعو إلى حفظ الإيمان فلا تبذل في كل مجال ولا تقال إلا لإحقاق الحق وإزهاق الباطل. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ذلك كفارة إيمانكم إذا حلفتم واحفظوا إيمانكم ﴾، ففي هذا التعبير تلميح إلى كراهية الحلف أصلا؛ لأنه جعل الكفارة مرتبطة بالحلف ذاته، وقوله تعالى: ﴿ واحفظوا إيمانكم ﴾ فيه إيماء إلى التقليل من الإيمان الصادقة فضلا عن الكاذبة

(1) انظر القواعد النورانية باب الإيمان، وتفسير المنار جـ 7 ص 54.

وصدق الله العظيم: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم﴾، ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ إن الله يرشد عباده إلى سواء السبيل؛ رحمة بهم فمن اتبع هداه فقد عصم نفسه من الزلل وكان من الفائزين.

وأما الآية الثانية التي وردت في سورة المائدة وذكرت فيها مادة الصيام فتتحدث عن قتل الصيد في الحرم وجزاء هذا القتل.

﴿يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيّد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النَّعَم يحكمُ به ذَوا عدْل منكم هَدْياً بالغ الكعبة أو كفارةٌ طعامُ مساكين أو عَدْلُ ذلك صياماً ليذوقَ وبال أمره عفا الله عما سلف، ومن عاد فينتقمْ الله منه والله عزيزٌ ذو انتقام﴾.

---

لقد جعل الله مكة بلداً حراماً وجعل البيت

فيها مثابة للناس وأمناً، فمن دخل هـذا البلد حاجاً أو معتمراً، فعليه أن يرعى حرمته ويحافظ على حقوقه ويحمي أمانة واطمئنانه؛ ليظل البيت الحرام كما أراد له الله منطقة سلام ووئام ويهرع إليها المسلمون من كل فج عميق؛ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ويتدربوا في تلك الأيام التي يجتمعون فيها في ذلك المكان المقدس الطاهر على تشرب معاني الصفاء والسلام والأمن والتعاون في السراء والضراء؛ ليكونوا بين الناس دعاة رحمة وإخاء ورسل محبة وسلام فلا تضل البشرية طريق الحيـاة الآمن المطمئن ولا تستبد بها شهوات الطغيان والعدوان.

وإذا كان الله تبارك وتعالى قد حرم كل ما يعكر الصفو أو يكدر الخاطر في هذا البلد الحرام فإنه سبحانه يفتح أمام الإنسان أبواب الصفح والغفران إذا ما اقترف إثماً أو أتى أمراً منهياً عنه،

فليست الخطيئة البشرية في الإسلام لعنة تغلق باب الرحمة أمام الخاطىء وتطرده إلى الأبد من وجه الله.

وحين نهت هذه الآية عن قتل الصيد عمداً في حالة الإحرام فقد اتبعت هذا النهي ببيان الكفارة إذا وقع المحظور ﴿ ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم، هدياً بالغ الكعبة، أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ﴾.

والصيد المنهى عن قتله عمداً هو الحيوان الوحشي غير الضار، وكما لا يجوز قتله لا يجوز صيده أو تنفيره وقد روي عن الرسول ﷺ قال: «خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور»[1].

(1) انظر القرطبي جـ 2 ص 206، وأحكام القرآن للجصاص جـ 2 ص 468.

وهناك روايات لهذا الحديث غير هذه الرواية وتختلف عنها من ناحية ذكر أسماء الحيوانات التي يجوز للمحرم قتلها، ومع هذا يمكن أن يؤخذ من مجموع الروايات كلها أن ما عظم ضرره على الناس وعدا عليهم في الأعم الأغلب فليس في قتله مأثم ولا كفارة.

فإذا اقترف المحرم ما نهى الله عنه وجب عليه أن يكفر عن ذنبه بذبح بهيمة من الأنعام من مستوى الصيد الذي قتله، فالغزالة مثلا تجزىء فيها شاة والنعامة بدنة، وحمار الوحش بقرة، وهكذا على أن يتولى الحكم في هذا رجلان عدلان من المسلمين، ليكون حكمهما دقيقاً وتقديرهما سليمًا. فإذا تعذر وجود مثل الصيد المقتول كان على الحكمين أن يقوِّما هذا الصيد بمال، يشترى به ذبيحة تذبح عند الكعبة «هدياً بالغ الكعبة» وينال لحومها الفقراء.

هذا أو كفارة طعام مساكين بما يعادل ثمن الهدى المقدر، أو صيام أيام بعدد المساكين الذين كان ينالهم الإطعام.

وقد اختلف الفقهاء في مقدار ما ينال كل مسكين من الطعام، ليتسنى معرفة عددهم فتكون أيام الصيام عدلا لعدد المساكين.

وروي عن الإمام مالك قال: أحسن ما سمعت في الذي يقتل الصيد فيحكم عليه فيه، أنه يقوّم الصيد الذي أصاب، فينظر كم ثمنه من الطعام فيطعم لكل مسكين مداً أو يصوم مكان كل مد يوماً[1].

تذكر الآية أن هذه الكفارة عقوبة لذلك الذنب الذي ارتكبه المحرم «ليذوق وبال أمره»

(1) تفسير القرطبي جـ 6 ص 315، والمد مكيال قديم اختلف في تقديره بالكيل المصري. فقدره الشافعية بنصف قدح وقدره المالكية بنحو ذلك.

وتشير بعد ذلك إلى فضل الله السابغ ورحمته التي وسعت كل شيء وعفوه عما سلف قبل هذا البيان الكريم، كما تحذر في ختامها من العودة إلى انتهاك حرمات الله في عبارة توحي بفداحة جريمة الإقدام على قتل الصيد في البلد الحرام ﴿ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام﴾ إنه لتهديد رهيب تنخلع له القلوب وترتعد له الفرائص.

إنه تهديد يؤكد حرص الإسلام على رعاية الأمان والاطمئنان للإنسان والحيوان.

وبعد: فإن الحكم الذي قررته هذه الآية ينسحب على كل محرم من الذكور والإناث ويشمل مكة والمدينة، قال رسول الله ﷺ عن المدينة: «ما بين لابتيها[1] حرام» وقال عنها أيضاً: «لا يُختلى خلاها[2] ولا يعضد شجرها ولا ينفر

(1) لابتا المدينة هما حرتان يكتنفانها.

(2) الخلى: النبات الرقيق ما دام رطباً، ويختلى: يقطع.

صيدها».

وقد قررت الآية التي تلت آية النهي عن قتل الصيد هذه أن الصيد المنهى عنه، هو صيد البر، فأما صيد البحر فهو حلال في الحل والإحرام **﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾**.

# فِي سُورَةُ مَرْيَمْ

## الصَّوم عَن الكَلام

جاءت مادة الصيام في هذه السورة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ فكُلي واشْرَبي وقرِّى عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولى إني نذرْتُ للرّحمن صَوْماً فلن أكلم اليوم إنسياً ﴾.

وهذه الآية تشير إلى طرف من قصة مريم وابنها المسيح عليه السلام، كما تتحدث عن نمط من الصيام يعد أغرب ألوانه وأنواعه.

والقصة كما تحدث عنها القرآن الكريم هي أن مريم ولدت لرجل من بني إسرائيل اسمه

عمران، وأن زوجه عندما حملت بها، نذرت ما في بطنها لله؛ ليقوم على خدمة بيته، وكانت ترجو أن يكون المولود ذكراً؛ ليؤدي الرسالة التي نذرته من أجلها، ولكن شاءت إرادة الله أن تلد زوجة عمران أنثى، فلما وضعتها توجهت إلى ربها قائلة **﴿رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضَعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾**.

ويبدو أن والد مريم قد توفي وهي طفلة صغيرة، فقام على رعايتها وتربيتها زكريا ـ وكان زوجاً لخالة مريم ـ وفي كفالة زكريا نشأت مريم نشأة طاهرة صالحة، وأسبغ الله عليها نعمة ظاهرة وباطنة، وكان زكريا كلما دخل عليها في خلوتها وجد عندها نعم الله ورزقه، فإذا سألها من أين لك هذا؟ قالت هو من عند الله.

ولما أراد الله أن تحمل بعيسى عليه السلام تركت مكانها المألوف بين أهلها، واتخذت لها مكاناً من جانب الشرق؛ لأن من عادة قومها تعظيم جهة المشرق ﴿ **واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً** ﴾ وفي خلوتها الجديدة جاءها ملك من السماء وتمثل لها بشراً سوياً، فلما رأته فزعت منه وقالت: ﴿ **إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًّاً** ﴾ فقال لها الملك: ﴿ **إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً ذكياً** ﴾ فلما سمعت منه هذا تعجبت كيف يكون لها ولد ولم تتزوج وليست بزانية ﴿ **قالت إني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً** ﴾ فرد الملك ﴿ **قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة ومنا وكان أمراً مقضياً** ﴾ إنها إرادة الله ومشيئته، وهو سبحانه وتعالى قادر لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، خلق آدم من غير أب وأم فليس

عجيباً ولا صعباً أن يخلق عيسى من غير أب.

إن عيسى آية على قدرة الله، وهو رحمة لمن آمن به ولم يعص الله فيه.

ولما حملت بعيسى خافت من قومها ـ وهي الطاهرة البريئة التي أحصنت فرجها ـ لأنهم إن رأوها حاملا وهي لم تتزوج سيعيرونها ويلصقون بها أشنع التهم، ففرت بحملها بعيداً، وعندما أتمت مدة الحمل وشعرت بآلام الوضع، لجأت إلى جذع نخلة تستند إليه، وتتعلق به وقالت: ﴿ **يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً** ﴾ لقد تمنت الموت لا فراراً من قضاء الله، ولكنها خافت أن يظن بها الشر في دينها وتعير فيفتنها ذلك، وأيضاً لأن قومها سيقعون في البهتان بسببها وذلك مهلك لهم، إنها خافت على نفسها من الفتنة وعلى قومها من اقتراف الذنوب فينالهم من الله عذاب

عظيم، فتمنت الموت وليس فيـه في مثل هـذه الحالة لوم ولا إثم.

لقد كانت لحظة قاسية في حياة السيدة مريم، سيطر الحزن عليها وأصبحت لا تدري ماذا تفعل وهي وحيدة في مكانها، ولكن الله الذي تقبلها بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً وحفظها من كل سوء، واختارها لتكون أماً لنبي كريم ورسـول رحيم لم يتخل عنها في تلك اللحظة وأرسل لها ملكاً من السماء ناداها بأن تغتبط بمولـودها ولا تحزن؛ لأن الله هيأ لهـا الماء العـذب والرطب الجنى، فلتأكل من رزق الله، ولتهنـأ بمولـودها الذي سيكون له شأن كبير، وأثر عظيم، فإذا رأت من البشر أحداً وانـطلق يسألهـا عن سر ولدها فعليها أن تصمت ولا تتكلم ﴿فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً

فلن أكلم اليوم إنسياً ﴾.

وإذا كان معنى الصوم في الآية الصمت فهل يجوز أن ينذر الإنسان بألا يكلم أحداً من الناس؟ وهل يدل هذا على أن الصوم عن الكلام كان في شريعة اليهود، واجباً بالنذر؟.. ذكر بعض المفسرين والمؤرخين أن الصوم بهذا المعنى كان في بني إسرائيل ملتزماً بالنذر، وروى أن من سنة الصيام عندهم الإمساك عن الأكل والكلام.

إن الكف عن الكلام هو أغرب أنواع الصيام، ومع هذا كان منتشراً لدى كثير من الشعوب البدائية وغيرها، فعند السكان الأصليين لأستراليا مثلا كان يجب على المرأة إذا توفي عنها زوجها أن تظل مدة طويلة، تبلغ أحياناً عاماً كاملًا، صائمة عن الكلام[1]».

---

(1) انظر الصيام والأضحية ص 11.

وجاء في القرآن الكريم عن هذا اللون من الصيام يوحي بأنه كان متبعاً في ديانة اليهود، فقد كانت شريعة مريم وقومها حينئذ الشريعة اليهودية، وإن لم يشر إلى ذلك العهد القديم، على أن هذا الصيام في المسيحية فضيلة لدى الرهبان والعباد.

والإسلام لا يبيح هذا الصيام لما فيه من التضيق وتعذيب النفس، والله أرحم بعباده من أن يفرض عليهم ما فيه إعنات لهم. فضلا عن أنه لا يحقق رسالة الصيام كما فرضها الإسلام.

وحملت مريم ابنها وأتت به قومها، فقالوا لها: **يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً، يا أخت هارون ما كان أبوك أمرأ سوءٍ وما كانت أمك بغيا﴾** لقد تعجبوا كيف يحدث هذا الأمر المنكر، وهي من سلالة نقية طاهرة غير أنها لم تعبأ بدهشتهم

وإنكارهم، وأشارت إلى طفلها ليكلموه، فكان ردهم ﴿ وكيف نكلم من كان في المهد صبياً ﴾، وأنطق الله عيسى عليه السلام فقال لهم: ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً، وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًّا ﴾.

# في سُورَةُ الأحزَاب

## أخلَاقُ المسْلم وَالمسْلِمَة

وردت مادة الصيام في هذه السورة مرتين في آية واحدة اشتملت على صفات كريمة يتحلى بها كل من اتقى ربه وأطاعه من الرجال والنساء.

**﴿ إن المسلمين والمسلمات، والمؤْمنين والمؤْمنات، والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات، والصابرين والصّابرات، والخاشعين والخاشعات، والمتصدّقين والمتصدقات، والصائمين والصائمات، والحافظين فروجهم والحافظات، والذاكرين الله كثيراً والذاكرت،**

أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيمًا ﴾.

وقد روى الإمام أحمد في مسنده أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ أن الرجال يذكرون في القرآن ولا يذكر النساء فنزل قوله تعالى: ﴿ إن المسلمين والمسلمات... ﴾ الآية وروى أن التي ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ليست هي أم سلمة، وإنما هي أم عمارة الأنصارية وروى أن السبب بعض النساء لما نزل ما يخص نساء النبي سألن عن أحكامهن، وأياً كان سبب النزول، فإن العبرة بما اشتملت عليه الآية الكريمة من أوصاف هي جماع أخلاق المسلمين لا فرق في ذلك بين ذكر وأنثى، فهي أخلاق أو أوامر مطلوبة من الرجال والنساء على سواء، فلا يختص الرجال ببعضها أو يختص النساء ببعضها، وإنما هي أخلاق المؤمن والمؤمنة على سواء، إنها أخلاق

الإسلام التي تعم ولا تخص.

والصفات التي اشتملت عليها الآية هي: الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر، والخشوع، والتصدق، والصوم، وحفظ الفروج من الخنا، وذكر الله تعالى بالقلب وبالجوارح، وقد أعد الله لمن تحققت فيه هذه الصفات ثواباً عظيمًا وأجراً جزيلا.

ويلاحظ أن هذه الصفات أكثرها قلبي، ليس له مظهر خارجي، وإن كان له مظهر محسوس أحياناً فالعبرة فيه بما في القلب، كما يلاحظ أن هذه الصفات متدرجة، وهي مراتب. بحيث تكون كل صفة منها مرتبة قائمة بذاتها، ودرجة لما قبلها.

وأول هذه المراتب الإسلام، وهو الإخلاص لله تعالى والاتجاه إليه والانقياد له، والاستعداد

التام لطاعته تعالى في كل ما يأمر، وقبول الحق الذي يدعو إليه سبحانه، وعلى هذا يكون معنى ﴿ إن المسلمين والمسلمات ﴾ أي المخلصين في طلب الحق والمنقادين له والذين يخضعون أهواءهم لعقولهم ولأوامر ربهم.

والإخلاص لله يجعل النفس تشرق بنور ربها فتتجه إلى الحق وتؤمن به، ولذا جاءت مرتبة الإيمان بعد الإسلام هو التصديق بالقلب وإخضاع كل الأفعال والأقوال لما يوجبه هذا الإيمان، ولذلك لا يكون مع الإيمان الكامل معصية فقد روي عن النبي ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن».

وما دام الإيمان الصادق أساساً للأعمال الصالحة فإن من آثاره الخضوع المطلق لأمر الله، فيكون الإنسان بقلبه وجوارحه مطيعاً لرب

العالمين وذلك هو القنوت وهو في معناه اللغوي لزوم الطاعة والخضوع الكامل، وهذا بلا شك مرتبة ثالثة بعد الإيمان.

ومن ارتقى هذه المرتبة سار في طريق المرتبة الرابعة وهي الصدق، وهو الصفة التي إذا استغرقت النفس واستولت عليها صار كل ما يظهر منها من قول أو عمل هو إعلان لحقيقتها، وما انطوت عليه، ولذا كان الصدق في حقيقته والنفاق نقيضين لا يجتمعان، وكان الكذب من علامات النفاق كما قال عليه السلام: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان» وكل هذه الأوصاف لا توجد مع الصدق قط، قال عليه السلام: «عليكم الصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار

ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى حتى يكتب عند الله صديقاً، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً».

والمؤمن إذا قنت لربه وصدق في نفسه وقوله وفعله أصبح مؤمناً يدافع عن الإيمان وأهله في بسالة لا تعرف الخوف وصبر لا يعرف الضعف، ولذا جاءت مرتبة الصبر بعد المراتب السابقة لترشد المؤمنين الصادقين القانتين إن الصبر عدة الجهاد وقوة الجلاد وطريق النصر الفوز في جميع المعارك، والصبر في الآية جاء مطلقاً عاماً يشمل كل موقف يحتاج إلى كفاح ونضال ليحمي المؤمن نفسه من الهلع والجزع عند الشدائد، ويظل رابط الجأش يثق في الله ويفوض أمره إليه.

وجميع المراتب السالفة تؤدي إلى منزلة أعلى منها، وهي منزلة الالتجاء إلى الله تعالى في كل ما

يعمل الإنسان من أعمال وما ينطق من أقوال، وما تتحرك به الجوارح، بل ما تجيش به النفس من خواطر ولذا قال تعالى: ﴿والخاشعين والخاشعات﴾ والخشوع هو الضراعة إلى الله تعالى، ومقامه هو مقام الخوف من الله والإحساس برقابته سبحانه وتعالى وأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وقد جاء في الحديث الصحيح: «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وتلي تلك المراتب مرتبة التصدق، وهي مرتبة النفع العام يقصد إليه المؤمن حباً في الخير وتطهراً من الإثم، وتأكيداً لرابطة الأخوة بين المؤمنين، وليس المقصود بالتصدق الزكاة فحسب، ولا مجرد إعطاء المال بوجه عام، ولكن المقصود منه التعاون التام بين المؤمنين فالكلمة الطيبة صدقة، والبذرة تلقى في الأرض فتنبت نباتاً صدقة ولذا قال عليه

السلام: «ما من مؤمن يغرس غرساً فيأكل منه إنسان أو دابة إلا كتب له به صدقة» والتأليف بين المتنافرين صدقة، وإعانة من يكون في حاجة إلى أي عون صدقة ولذا قال عليه السلام: «والله في عـون العبد مـا دام العبد في عـون أخيـه» وهكذا، فليست الصدقة مقصورة على الزكاة أو صدقة الفطر، وإنما هي معنى عام يشمل كل نفع يقصد به وجه الله تعالى.

ثم جاء بعد كل ما تقدم ذكر الصوم، تلك المرتبة الروحية العالية فقال تعالى: ﴿ **والصائمين والصائمات** ﴾ فهذا الوصف رمز للتجرد الروحي الذي يتجه إليه المؤمن، وذلك لأن الصوم تجرد روحي، إذ أن الشهوات المتحكمة وهي شهوة البطن والفرج إذا سيطرت على الإنسان هبط إلى الطبيعة الحيوانية، فإذا تجرد من هذه الشهوات

فقد علا عن درجة الحيوان إلى درجة الملك؛ ففي الإنسان عنصران، عنصر حيواني يشترك فيه مع الحيوان الأعجم، وعنصر روحي يشترك فيه مع عالم الملائكة، فمن انتصر على شهواته، كان في منزلة تسمو منزلة الملائكة، ومن هزمته أهواؤه ونزواته هوى إلى مكانته فوقها مكانة الحيوان الأعجم.

إن الصوم نزوع روحي، وهو إن أدى على وجهه وأعطى حقه كاملا تهذيب النفس، وسمت الروح، وابتعد الإنسان عن المعاصي؛ لأن الصيام في جوهره استعلاء على ضرورات الجسد، ومن استعلى على ضرورات جسده صار مؤمناً كامل الإيمان.

ولأن الصيام مهذب للروح فرض رمضان، وقد حث عليه السلام على صيام التطوع، فعلى

كل امرىء تقي أن يلاحظ نفسه، فإن لاحظ فيها تسلط الشهوات عليها وتحكمها فيها فليعلم أنه بلغ أقصى هبوط الأرضية، ولا يعلو إلى الروحانية إلا بأجنحة تحلق به من الصوم.

ولقد ذكر عليه السلام أن أفضل التطوع أن يصوم يوماً ويفطر يوماً ولقد كان عليه السلام كثير الصوم، ولكن لم يعرف أنه صام شهراً كاملا إلا رمضان.

ومن كان كما وصفت الآية اتجه إلى الملكوت الأعلى، وتجنب المنهيات اجتناباً مطلقاً، وإلى ذلك المعنى قال الله تعالى: ﴿ **والحافظين فروجهم والحافظات** ﴾ فهذا الوصف يرمز إلى الامتناع عن المنهيات كلها، وهو فوق ذلك يبين مرتبة أخرى لا تقل علوًّا عن المرتبة الروحية وهي المحافظة على النسل والإبقاء على النوع، وذلك بالمحافظة على وعائه والمحافظة على مائه، ولذلك عد

الزواج من القربات، وقال عليه السلام: «إن من سنتنا النكاح ومن رغب عن سنتنا فليس منا».

وهناك مع كل هذه المراتب حال يجب البقاء عليها واستمرارها وهي ذكر الله تعالى ولذا قال سبحانه في ختام تلك المراتب: ﴿**والذاكرين الله كثيراً والذاكرات**﴾ ومعنى ذكر الله تذكره دائمًا في القلب، عند الإقدام على كل عمل، فإن ذلك هو مخ العبادة ولب الدين وليس ذكر الله هو ذلك التمايل ذات اليمين وذات الشمال كما يفعل كثير من المشعوذين والجهال.

إن ذكر الله أكبر العبادات وفيه العزة والعزاء والأمان والاطمئنان وصدق الله العظيم: ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾.

وإن من هدى إلى تلك الفضائل والشمائل من الرجال والنساء، فقد أعد الله له في هذه الحياة

الدنيا خيراً وبراً وفي الآخرة غفراناً ونعيمًا مقيمًا وذلك فضل من الله ورحمة والله ذو الفضل العظيم[1].

(1) اعتمدت في الحديث في هذه الآية على تفسير أستاذنا الجليل الشيخ محمد أبو زهرة لها.

# فِي سُورَةُ المجَادَلَة

## الظهَار

جاءت مادة الصيام في هذه السورة مرة واحدة في قوله تعالى:

﴿ والذين يُظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحريرُ رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير. فمن لم يجد فصيام شَهرين متتابعين من قبلِ أن يتماسا، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤْمنوا بالله ورسوله، وتلك حدود الله وللكافرين عذابٌ أليم ﴾.

موضوع هذا النص القرآني الكريم الظهار وكفارته، وقد وردت قبله آيتان ترتبطان به ارتباطاً وثيقاً وتفسران أسباب نزوله:

**﴿قد سمع الله قولَ التي تجادلك في زَوْجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوُرَكما إنّ الله سميع بصير. الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هنّ أمهاتهم إنْ أمهاتهم إلا اللائي وَلَدْنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وإن الله لعَفُوٌّ غفور﴾..**

كان من عادة الرجل في الجاهلية إذا غضب من زوجته أن يقول لها: أنت عليّ كظهر أمي، فتحرم عليه ولا تطلق منه وتبقى معلقة لا هي مزوجة ولا مطلقة، وكان هذا لوناً من العنت الذي كانت تلاقيه المرأة في الجاهلية فلما جاء الإسلام قضى على العادات والأعراف الجاهلية الفاسدة، ومنها الظهار، غير أن علاجه لهذه

العادة ارتبط بحادثة أشارت إليها الآية الأولى في سورة المجادلة وهي ﴿ **قد سمع الله...** ﴾ الآية.

وتذكر كتب الحديث والتفسير وطبقات الصحابة أن التي ذهبت إلى رسول الله ﷺ تجادله في زوجها هي زوج أوس بن الصامت الصحابي الذي شهد بدراً والمشاهد كلها مع الرسول عليه السلام وإن اختلف في اسمها فقيل اسمها خولة أو خويلة بنت ثعلبة، وقيل بنت حكيم أو بنت خويلد، وقيل اسمها جميلة... وأيا كان اسمها[1] فقد روي عنها أنها قالت: في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، قالت: فدخل على يوماً فراجعته بشيء فغضب فقال: أنت علي كظهر أمي، قالت ثم

---

(1) انظر تفسير القرطبي جـ 17 ص 269.

خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل علي، فإذا هو يريدني، قالت: قلت: كلا والذي نفس خويلة بيده، لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه. قالت:

فواثبني فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني. قالت ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه. قالت فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه» قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في قرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سرى عنه فقال لي: «يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا» ثم قرأ علي: ﴿قد سمع الله.. إلى قوله تعالى: وللكافرين عذاب أليم﴾،

قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «مريه فليعتق رقبة» قالت: قلت يا رسول الله: ما عنده ما يعتق. قال: «فليصم شهرين متتابعين» قالت: قلت والله وإنه لشيخ ما له من صيام. قال: «فليطعم ستين مسكيناً وَسْقاً من تمر» قالت: قلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده. قالت. فقال رسول الله ﷺ: «فإنا سنعينه بعرَق من تمر» قالت: فقلت يا رسول الله وأنا سأعينه بعرق آخر. قال: «وقد أصبت وأحسنت[1] فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيراً» قالت؛ فعلتُ.

إن العلاقة الزوجية في نظر الإسلام علاقة قائمة على أكرم المشاعر وأقدس الغايات وقد حمى

(1) انظر سنن أبي داود في كتاب الطلاق، باب في الظهار. والعرق ستون صاعاً، والصاع مكيال قديم كان معروفاً بالمدينة ويقدر بأربعة أمداد، ويساوي سدس كيلة.

الضـرورة، حيث يمسي استمـرارهـا غـير محقق الإسلام هذه العلاقة من كل ما يوهن قوتها أو يؤثر في أداء رسالتها، ولم يبح انفصامها إلا عند الضرورة حيث يمسي استمرارها غير محقق لقيامها.

والظهار الذي تحدثت عنه الآيات ليس طلاقاً يترتب عليه إنهاء العلاقة الزوجية فهو في حقيقته قائم على غير أصل، فالزوجـة ليست أماً حتى تكون محرمة كالأم، ولا يمكن أن تستحيل الزوجية أماً بكلمة تقال، إنها كلمة منكرة ينكرها الواقع، وكلمة مزورة ينكرها الحق، وما دام الظهار ليس طلاقاً فإن القرآن حين أنكر على المظاهرين ما يقولون، وحين فرض عليهم كفارة غير يسيـرة فإنه ـ بالإضافـة إلى إبطال مـا كان يفعله أهـل الجاهلية ـ يريد أن تكون العلاقة الزوجيـة دائماً عـلاقة ود وتـراحم وسكن واستقرار، ويعـطي لهؤلاء الذين يعتدون على حرمة هذه العلاقة درساً

ناجعاً في احترامها والحفاظ عليها.

إن الزوج إذا ظاهر من زوجته بأن قال لها أنت علي كظهر أمي، أو من جرى مجراها من ذوات المحارم التي لا يجوز له التزوج بهن بحال، ثم عاد[1] لما قال: أي إلى ما حرمه على نفسه بالظهار، فإنه لا سبيل له إلى ذلك إلا بعد أن يكفر بما نصت عليه الآية: تحرير رقبة، فإذا لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن أفطر في أثنائهما بغير عذر استأنفهما فإن عجز عن الصيام أطعم ستين مسكيناً.

إن هذه الكفارة تذكير وإرشاد لما يجب على كل مسلم أن يفعله إذا ما أخطأ وتفوّه بهذه العبارة المنكرة حتى لا يعود إلى مثلها وحتى يقي لسانه

(1) اختلف الفقهاء في تفسير معنى العود، ففسره بعضهم بالإمساك والوطء معاً، أو الإمساك فقط (راجع بداية المجتهد لابن رشد وتفسير القرطبي جـ 17، ص 280).

العثرات والهفوات، وبيته الشقاق والاضطراب.

وفي الآيات مع هذا المثل والمعاني التي تدل على مكانة المرأة في الإسلام تلك المكانة التي تخول لها أن تجادل الرسول وتناقشه وتراجع في الرأي التماساً لحكم يعالج مشكلتها الاجتماعية.

والآية في ختامها تحذر من تجاوز حدود الله، وتحض المؤمنين على عدم التشبه بالكافرين «وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم».

# خـاتمـة

## منهج القرآن في بيان الأحكام
## وبخاصة فيما يتعلق بالصيام

بعـد دراسة الآيـات التي وردت فيهـا مـادة الصيام، أود في هذه الخاتمة أن أتحدث في إيجاز عن منهج القرآن الكريم في بيان الأحكام بوجه عام مع تفصيل القول بعض التفصيل فيما يتعلق بالصيام. . .

وقبل الحديث في هذا تجدر الإشارة إلى ذكر أنواع الأحكام التي جاء بها القرآن، تلك الأحكام التي صلح عليها أمر الدنيا والآخرة.

إن أنواع هذه الأحكام ثلاثة:

الأول : أحكام اعتقادية تتعلق بما يجب على المكلف اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم والآخر وما فيه من جنة ونار وثواب وعقاب.

الثاني : أحكام خلقية تتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلى به من الفضائل، وأن يتخلى عنه من الرذائل.

الثالث : أحكام عملية تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال وعقود وتصرفات، وهذه تنتظم نوعين:

أحكام العبادات من صلاة وصيام وحج ونحوها من العبادات التي يقصد بها تنظيم علاقة الإنسان بربه.

وأحكام المعاملات من عقود تصرفات

وعقوبات ونحوها من الأحكام التي يقصد بها تنظيم علاقة المكلفين بعضهم ببعض سواء أكانوا أفراداً أم جماعات[1].

وأما منهج القرآن في بيان ما اشتمل عليه من أحكام وبخاصة أحكام المعاملات، فإنه منهج يؤثر الإجمال، ويكتفي في أغلب الشأن بالإشارة إلى مقاصد التشريع وقواعده الكلية، ومبادئه العامة دون ذكر لتفصيل أحكام الجزئيات وذلك لأنه دستور خالد لشريعة ختم الله بها الشرائع وبعث بها محمداً ﷺ إلى الناس كافة، فكان اقتصار القرآن في بيان الأحكام على الإجمال دون التفصيل ودعوته إلى الاجتهاد واستنباط الأحكام لكل ما يجد من أحداث ويقع من وقائع آية من آيات إعجاز هذا الكتاب الكريم، ودليلا من أدلة

---

(1) انظر علم أصول الفقه للمرحوم عبد الوهاب خلاف ص 31.

صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان وكل مكان.

على أن القرآن من ناحية ثانية لم ينهج في بيان أحكامه منهج الكتب المؤلفة التي تذكر الأحكام المتعلقة بشيء واحد في مكان واحد، ثم لا تعود إليه إلا بقدر ما تدعو إليه المناسبة وإنما فرق الأحكام في سوره الكثيرة وكأنه بهذا يوجّه أنظار المكلفين إلى أن هذه الأحكام على اختلافها وتنوعها وحدة مترابطة يجب العمل بها كلها وعدم الأخذ ببعضها دون بعض، كذلك فإن القرآن قد مزج في بيانه للأحكام بين التقرير والترغيب والترهيب، وهذا من شأنه أن يحمل النفوس على امتثال أمر الله وطاعته في كل ما أمر به[1].

---

(1) انظر الباب الثاني من مقدمة كتاب فقه القرآن والسنة (القصاص) للمرحوم الشيخ محمود شلتوت.

إن أحكام القرآن لم ترد في صيغة جافة مجردة عن معاني الترغيب والترهيب كما هو الحال في القوانين الوضعية، وإنما وردت في عبارة تخاطب العقل والقلب وتجمع بين الدنيا والآخرة، ولذلك تطاع هذه الأحكام بوازع الضمير قبل وازع السلطان.

ومع كل ما تقدم روعى في أحكام القرآن اليسر ورفع المشقة وعدم الحرج، فليس فيها ما تضيق به صدور المؤمنين، أو يكون في القيام به عليهم عنت وإرهاق ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾، ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾.

ولا مجال هنا للحديث في كل حكم جاء به القرآن وبيان مدى انطباقه على ذلك المنهج الذي أشرت إليه، غير أني بعد أن درست الآيات التي

وردت فيها مادة الصيام رأيت أن أتعرض بشيء من التفصيل إلى منهج القرآن في الصيام، ولعل في هذا ما يغني عن التعريض لسواه من الأحكام. لقد اتضح من الآيات التي درستها أن القرآن الكريم في حديثه عن الصيام قد اتبع ذلك المنهج الذي يؤثر الإجمال ولا يجنح إلى التفصيلات والتفريعات، والذي لا يجمع أحكام الموضوع الواحد في مكان واحد والذي مزج بين الأحكام التكليفية ومعاني الترغيب والترهيب واتسم باليسر ونأى عن الضيق والحرج.

لقد ذكر القرآن أن الصيام فريضة على المؤمنين وأن زمانه رمضان، ثم أشار إلى الذين لا يستطيعون أن يصوموا وماذا يجب عليهم، وبعد ذلك بيّن أن الصيام كفارة لبعض الخطايا والذنوب.

ولم يذكر القرآن أحكام الصيام هذه جافة مجردة عن المعاني التي تخلق في النفوس وازع الدين، ولكنه في كل آية ورد فيها ما يتصل بالصيام من الأحكام ينبه المؤمنين إلى الغاية مما كتب الله عليهم ويؤكد لهم أن هذا الذي فرض إنما فرض لمصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ والتقوى سبيل الفلاح في العاجلة والآجلة. . .

وإذا كان ما كتب على المؤمنين يحقق لهم الخير والسعادة ويكفل لهم العزة والكرامة فإنه ليس أمراً تنوء به الطاقة البشرية أو يسبب لها الضيق والإعنات لأن الله رؤوف بعباده رحيم بهم ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾.

وبهذا كله يقبل المؤمنون على أداء فريضة

الصيام بنفوس راضية مطمئنة، تخشى الله سراً وعلانية لأنها تؤمن بأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

إن ظاهرة المزج بين الأحكام التكليفية ومعاني الترغيب والترهيب من الظواهر التي ينفرد بها القرآن الكريم، وهي ظاهرة تضفي على أحكامه طابعاً خاصاً يتميز بالهيبة والمراقبة ورعاية أدائها إيماناً بها، وحرصاً عليها خشية من الله وطمعاً في مثوبته وغفرانه ﴿ **من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلّام للعبيد** ﴾.

وحديث الصيام في القرآن لم يرد في مكان واحدة أو سورة واحدة، ولكنه ورد مفرقاً في آيات بلغت إحدى عشرة نزلت في أزمنة مختلفة وتوزعتها ست سورة من الكتاب العزيز. . .

وأما الإجمال فإنه يبدو في اقتصار القرآن على

ذكر فرضية الصيام وزمانه وبعض رخصه وتكفيره لبعض الذنوب، وقد فصلت السنة النبوية الشريفة ما أجمله القرآن فتحدثت عن آداب الصيام وسننه ومفطراته وغير ذلك مما يتعلق بهذه الفريضة وهي لهذا تعد المصدر الثاني للتشريع الإسلامي.

لقد أخبر الله في كتابه الكريم أن مهمة الرسول بالنسبة للقرآن أنه مبين له وموضح لمراميه وآياته حيث يقول الله تعالى في كتابه: ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ كما بين أن مهمته إيضاح الحق حين يختلف فيه الناس: ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾. وأوجب النزول على حكمه في كل خلاف ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسم حرجاً مما**

قضيت ويسلموا تسليمًا ﴾ وأخبر أنه أوتي القرآن والحكمة ليعلم الناس أحكام دينهم فقال: ﴿ لقد مَنّ الله على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو* عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾.

والحكمة كما ذهب جمهور العلماء شيء غير القرآن وهي ما أطلعه الله عليه من أسرار دينية ويعبر العلماء عنها بالسنة، قال الإمام الشافعي رحمه الله: «فذكر الله الكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله، وهذا يشبه ما قال والله أعلم؛ لأن القرآن ذكر وأتبعته الحكمةُ وذَكر الله منَّه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة فلم يجز ـ والله أعلم ـ أن يقال الحكمة هنا إلا سنة رسول الله، وذلك أنها مقرونة مع

الكتاب، وأن الله أفترض طاعة رسوله وحتم على الناس اتباع أمره ـ فلا يجوز أن يقال لقول: فرْضٌ إلا لكتاب الله وسنة رسوله لما وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله مقروناً بالإيمان به»[1].

إن السنة النبوية الصحيحة مصدر تشريعي يلي القرآن الكريم في المنزلة، وهي واجبة الاتباع لا يختلف في ذلك اثنان من فقهاء المسلمين، وهي مع القرآن على ثلاثة أوجه[2]:

أحدها : أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

(1) الرسالة ص 78 تحقيق المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر ط. الحلبي hgogfd'

(2) إعلام الموقعين جـ 2 ص 232ط الدمشقي.

الثاني : أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له، وقد أسلفت أن القرآن في منهجه لعرض الأحكام يؤثر الإجمال ويقتصر على القواعد الكلية والمبادىء العامة، وقد فصلت السنة ما أجمله القرآن، كما في الصلاة مثلا، وذلك لأن آيات الصلاة في القرآن لم تتحدث إلا عن حكمة الصلاة وفرضيتها، أما ركعاتها وأحكامها وأنواعها، وكل ما يتعلق بها من سنن وآداب فقد فصلته السنة القولية والعملية.

الثالث : أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو محرمة لما سكت عن

تحريمه[1].

والسنة لا تعارض القرآن بوجه ما، وما كان منها زائداً على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ تجب طاعته فيه ولا تحل معصيته، فطاعة الرسول واجبة، وقد قرن الله طاعته بطاعة رسوله في آيات كثيرة من الكتاب الكريم: ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترْحمون﴾، ﴿من يطع الرسولَ فقد أطاع الله﴾، ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوْا فإن الله لا يحب الكافرين﴾

إن السنة ـ قولية أو عملية أو تقريرية ـ مصدر من مصادر الشريعة الغراء، وقد اتضح من

(1) مثل تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ومنع الحائض والنفساء.

دراسة آيات الصيام مدى علاقة السنة بالقرآن، ولهذا لقيت من السلف الصالح عناية ورعاية لم يظفر بها علم آخر؛ فقد تحملوا الصعاب في سبيل جمعها وتدوينها وإماطة الأذى عنها على أسس علمية فذة تشهد لهذا السلف بالعبقرية والدقة المنهجية في نقد الرجال وتلقي الأخبار والآثار.

* * *

إذا كان الصيام في الإسلام ينتظم أنواع فإن الآيات السالفة قد نصت على أربعة منها، واستفيد النوع الخامس من آية أخرى لم ترد فيها مادة الصيام ولكنها أمرت بوفاء ما يفرضه الانسان على نفسه من الطاعات والقربات دون تحديد لنوع منها.

وأما أنواع الصيام فهي:

1 ـ صيام الفرض.
2 ـ صيام القضاء.
3-صيام النذر.
4 ـ صيام الكفارات.
5 ـ صيام التطوع.

وصيام الفرض هو صيام رمضان، وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة والإجماع كما سبق بيان ذلك في موضعه، غير أني أود هنا أن أضع بين يدي القارىء خلاصة موجزة لأهم ما جاء عن هذا الصيام في دراسة آياته:

1 ـ يجب الصيام بأهلية التكليف، وبشرط الخلو من الأعذار المبيحة للإفطار، مثل السفر والمرض والهرم والحيض والنفاس.

2 ـ الأعذار التي تبيح الإفطار لا يدرك مدى تأثيرها في القدرة على الصيام سوى الصائم

نفسه.

3 ـ يبدأ صيام رمضان بالتأكيد من رؤية الهلال أو بإكمال شعبان ثلاثين يوماً.

4 ـ الرأي الراجح أنه لا عبرة باختلاف المطالع في بدء الصيام للمسلمين جميعاً.

5 ـ جعل الله النهار ظرفاً للصيام وحرم فيه ما أحل في ليلة من أكل وشرب ونكاح وكل ما يفسد الصيام.

6 ـ يبدأ يوم الصيام بطلوع الفجر الصادق وينهي بغروب الشمس[1].

7 ـ من أفطر بعذر يبيح الإفطار فعليه عدة من أيام أخر.

8 ـ ومن أفطر متعمداً بغير عذر فعليه القضاء والكفارة في رأي بعض الفقهاء فيما عدا الفطر

(1) هذا في المناطق المعتدلة أو الشبيهة بها أما المناطق القطبية فيقدر أهلها يوم الصيام بأقرب البلاد المعتدلة إليهم.

بالجماع فلا خلاف بين الجميع في وجوب القضاء والكفارة.

9 ـ لا بد من نية يعقدها الصائم قبل الفجر، ويقوم مقامها الاستعداد للسحور، أو السحور نفسه، أو تحرى طلوع الفجر.

10 ـ من السنة تعجيل الفطر وتأخير السحور.

11 ـ ليس الصيام إمساكاً عن المفطرات المادية فحسب ولكنه مع هذا إمساك عن كل ما لا يجدر بمسلم مؤمن أن يقدم عليه من شتم وسب، ونفاق وكذب وغيبة ونميمة وزور وبهتان.

12 ـ الصيام في جوهره تدريب عملي ونفسي للاستعلاء على ضرورات الجسد، وليست الغاية منه إضعاف الأجسام بالجوع والعطش.

13 ـ الوصال في الصيام غير مطلوب ولا محبوب.

14 ـ الإسراف في تناول الطعام في ليالي الصيام يضر بالصحة، فالمعدة بيت الداء،

والحمية رأس الدواء.

15 ـ ليس رمضان شهر الكنافة والمسابح والسهرات ولكنه فرصة سنوية للطاعات والقربات.

16 ـ الصيام في الإسلام باب من أبواب تكفير بعض الذنوب.

17 ـ الصيام في أصل فرضيته عبادة مكتوبة على المؤمنين بالله في كل دين.

# المُسْتَشْرِقُون والصِّيَام

إن صيام رمضان فريضة مشروعة وهداية مكتوبة، ولكن كثيراً من هؤلاء الذين عكفوا على تراثنا وحضارتنا من المستعربين قد حاولوا أن يثبتوا أن صيام المسلمين صورة من صيام الصابئة والمانويين، وهم في هذا يصدرون عن اتجاه مغرض لديهم ـ وإن كان لهم فضل لا يجحد في بعض الأمور ـ وهو التشكيك في نبوة محمد عليه السلام، وإن ما دعا إليه قد أخذه من الديانات السابقة، ولم يرسل به من عند الله. فمثلا حاول

الدكتور جاكوب الألماني في رسالة كتبها في صيام رمضان أن يثبت أن أول شهر صامه المسلمون كان موافقاً في مبدئه ونهايته لتاريخ صيام الصابئين، وأن هذا دليل على أن محمداً عليه السلام قد نقل صيامه عن شريعة الصابئين.

ويقول وستر مارك: إن وجوه الشبه بين صيام رمضان وصيام الصابئين والمانوية لبالغة من الوضوح مبلغاً يحمل الباحث على أن ينظر إلى هذه الأنواع الثلاثة من الصيام نظرته إلى ثلاث شعب متفرعة عن أصل واحد، فمن الراجح إذن أن يكون محمد قد نقل صيامه عن الصابئين أو عن المانوية أو عنهما معاً[1] ويلاحظ في مثل هذه الآراء أنها تصر على أن تسند ما جاء به الإسلام إلى محمد عليه السلام فيقال: قرآن محمد، صيام

(1) انظر الصوم والأضحية ص 39.

محمد، صلاة محمد.. الخ وقد يتجاوز عن ذلك لأن أصحاب هذه الآراء لا يؤمنون برسالة محمد، ولكن عدم إيمانهم لا يعفيهم من مسؤولية الأمانة العلمية التي يؤكدون أنهم حماتها والداعون إليها.

ومما يرد به على تلك الآراء أنه لم يحدث في الجاهلية اتصال فكري أو ديني بين قريش التي نشأ فيها الرسول عليه الصلاة والسلام وبين المانوية والصابئين وقد حال دون هذا الاتصال أمور كثيرة، منها اختلاف اللغة والثقافة والحضارة، ومنها بعد المسافة بين منازل هؤلاء ومنازل أولئك، فقد كانت بلاد الصابئين والمانوية على حدود فارس من الغرب وفي بلاد فارس نفسها، على حين أن القرشيين كانوا يقطنون الحجاز وكانت أسفارهم التجارية لا تتجاوز طريقي الشام واليمن يسلكون أحدهما في رحلة الشتاء والآخر في رحلة الصيف وهما الرحلتان

اللتان أشار إليهما القرآن الكريم إذ يقول:
**﴿ لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾.**

ولم يعرف عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه اتصل قبل بعثته بالصابئين والمانوية أو احتك بثقافتهم الدينية، أو عني بدراسة شرائعهم أو وقف على شيء منها **﴿ وما كنتَ تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك، إذا لارْتكاب المبطلون[1] ﴾.**

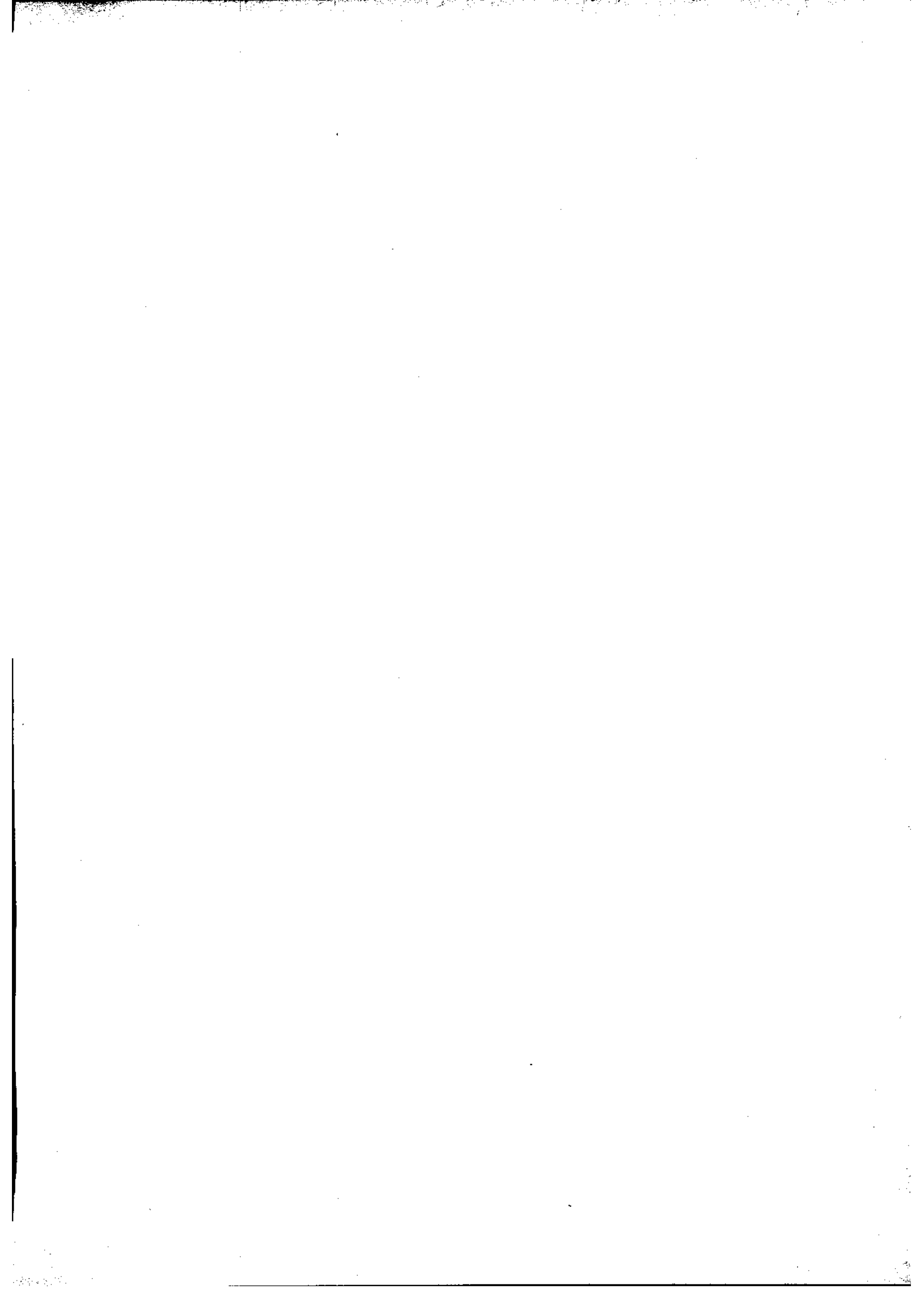
وصيام رمضان فضلا عن هذا يختلف اختلافاً جوهرياً في شروطه وقواعده ووقته وطريقة أدائه ومقاصده وحكمة تشريعه ومن يتقرب إليه به عن صيام الثلاثين عند المانوية والصابئين، وهذا الاتفاق الشكلي في عدد الأيام وتتابعها لا يتخذ

(1) المصدر السابق ص 41.

دليلا على أن أحدهما منقول عن الآخر، على أنهما في هذه الناحية نفسها يختلفان اختلافاً غير يسير، فالصيام الإسلامي مدته شهر قمري وصيام المانوية والصابئين مدته ثلاثون يوماً تبدأ بالثامن من شهر شمسي.

إن آفة الرأي الهوى، وهؤلاء المستعربون ـ بوجه عام ـ حين يتصدون لبحث عقائد الدين الإسلامي وشعائره، نراهم قبل أن يفهموا الموضوع حق الفهم يوجهون كل همهم إلى البحث عن نظير له في الديانات الأخرى ولا يكادون يعثرون عليه حتى يوحي إليهم تعصبهم أنه لا بد أن يكون هذا منقولا عن ذاك ثم لا تعوزهم الحيل والمنافذ التاريخية لإلباس اهوائهم ثوب الحق[1].

(1) الصوم والأضحية ص 40 وانظر المستشرقون والإسلام للمهندس زكريا هاشم، والإسلام والمستشرقون لمحمد الدسوقي.



# صِيَامُ القَضَاء

وأما صيام القضاء، فهو الصيام الذي يجب اداؤه بسبب الإفطار بعذر في رمضان كالسفر والمرض، فمن أفطر بعذر شرعي فعليه بدل الأيام التي أفطرها في زمن يباح فيه الصوم ﴿ **فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر** ﴾.

ولا يجب في صيام القضاء تتابع، فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبي ﷺ: «قضاء رمضان إن شاء فرق وإن شاء تابع».

وقال ابن العربي[1]: «وإنما وجب التتابع في الشهر (أي رمضان) لكونه معيناً، وقد عدم التعيين في القضاء فجاز بكل حال».

ويستحب لمن عليه قضاء أن يبادر به؛ ليتعجل براءة ذمته ويجوز تأخير أيام القضاء إذا اقتضت ضرورة إلى شهر شعبان التالي لما روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: كان يكون على الصوم من رمضان فما استطيع أن أقضيه إلا في شعبان، للشغل من رسول الله ﷺ ـ أو برسول الله ﷺ.

ولكن إذا أخرت أيام القضاء إلى ما قبل رمضان التالي بقدر تلك الأيام وجب القضاء فوراً، فإذا جاء رمضان الثاني ولم تصم تلك الأيام أثم المفطر، وكان عليه مع القضاء الفدية عن كل

(1) أحكام القرآن جـ 1 ص 34.

يوم أخره وقدرها وجبتان مشبعتان.

وروي عن رسول الله ﷺ في حق من أخر أيام القضاء إلى ما بعد رمضان الثاني قال: «من أدرك رمضان وعليه من رمضان شيء لم يقضه، ولم يتقبل منه ومن صام تطوعاً وعليه من رمضان شيء ولم يقضه فإنه لا يتقبل منه حتى يصومه» والمعنى أن صيام رمضان الثاني لا يتقبل ممن أخر أيام القضاء وذلك من باب التهديد ليسارع الناس إلى قضاء ما فاتهم قبل حلول رمضان الثاني، فليس المقصود نفي قبول صيام رمضان الثاني، ولكنه التهديد فحسب[1].

أما من مات وعليه صوم من رمضان فولى الميت ـ وهو كل قريب له وإن لم يكن وارثاً، وقيل: يختص بالوارث ـ مخير بين الإطعام والصيام

(1) انظر المنتخب من السنة جـ 5 ص 166.

عن الميت. روى أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه».

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سئل النبي ﷺ عن رجل مات وعليه صوم شهر، قال: «يطعم عنه كل يوم مسكين».

وصيام النذر، صيام يفرضه المسلم على نفسه تقرباً إلى الله وشكراً على ما أنعم به، فإذا نذر مسلم صيام يوم معين أو أيام معينة، وجب عليه صيام هذا اليوم أو هذه الأيام بالذات، وإذا أطلق ولم يحدد وجب عليه صيام ما نذره دون تقيد بزمن، وهذا الصيام وجب الأمر بإيفاء النذر في قوله تعالى: ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾

ومن مات وعليه صيام نذر، فحكمه حكم من مات وعليه صيام من رمضان، وقد جاءعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: جاءت إمرأة إلى

رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أمى ماتت وعليها صوم نذر، أفأصوم عنها؟ قال: «أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يؤدي ذلك عنها»؟ قالت: نعم، قال: «فصومي عن أمك».

وإذا كانت كل نفس بما كسبت رهينة وأن ابن آدم إذا مات ـ كما جاء عن الرسول عليه السلام ـ انقطع من عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، ـ فإن الصيام عن الميت أو الحج عنه لا يفيده ولا يضع عنه وزر التقصير في أداء ما كتب الله عليه.

إن الذى لا خلاف عليه أن من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، ولكن يجب ألا يغرب عن البال أن الإسلام لا يبتر الصلة بين الأحياء والموتى، وأن

على أولئك أن يدعوا لـهؤلا بالرحمة والمغفرة «ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب» فالصيام عن الميت أو الحج عنه ليس نيابة في أداءالعبادة بقـدر مـا هـو لـون من الاستغفـار والدعاءمع ما فيه من إرشاد إلى مراعاة حقوق الله وأدائها قبل أن يستحيل الأداءوالله أعلـم.

# صِيَامُ الكَفَّارَة

وأمـا صيام الكفـارة[1] فإنـ يلزم في الأمور الآتية:

1 ـ ارتكاب بعض المحظورات في فترة الإحرام وعدم قدرة المتمتع على تقديم هدى لإعساره وقد ورد في سورتى البقرة والمائدة.

2 ـ القتل الخطأ وما في حكمه وقـد ورد في سورة النساء.

(1) تكفير الشيء: ستره، وسمي الزارع كافراً لسترة البذر بالتراب قال تعالى: «كمثل غيث أعجب الكفار نباته». فالكفارة سميت بذلك لأنها تستر الذنوب.

3 ـ الحنث في اليمين وقد جاءفي سورة المائدة.
4 ـ الظهار وقد ورد في سورة المجادلة.
5 ـ الإفطار العمد في رمضان بدون عـذر[1] وكفارته عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهـرين متتابعين فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

وصيام الكفارة قد يجب على التخيـير، وقد يجب على الترتيب ففى ارتكاب أمر محظور مثل قتل الصيد في الحرم، يخير المحـرم بين الـذبح والإطعـام والصيام، وفي التمتـع والقتل الخـطأ والحنث في اليمين، والظهـار، والإفطار العمـد بدون عذر يجب الصيام على الترتيب، بمعنى أنه لا يجب إلا بعد العجز عن القيام بما أمر به أولا من عتق رقبة أو دفع دية، أو طعام. . . . إلخ.

(1) هـذا رأي بعض الفقهاء ـ وهـو ما رجحنـاه فيـما سلف ـ ويـرى آخـرون أن هـذه الكفـارة لا تجب إلا بالجماع فقط في نهار رمضان.

ويلاحظ أن هذا الصيام في حالات القتل الخطأ، والظهار، والإفطار العمد أمر به في صورة تشعر بجسامة جريمة القتل ولو كانت خطأ، وأن الإسلام قد حارب الأعراف الجاهلية حرباً لا هوادة فيها، ليحل محلها أعرافاً صالحة تحقق للمجتمع القوة والنقاء، وأن شهر رمضان له حرمته التي يجب أن ترعى ولا تنتهك.

إن من فضل الله أن جعل الصيام باباً من أبواب تكفير بعض الذنوب، وهو عبادة روحية، وهذا يؤكد ما أشرت إليه في بيان حكمة الصيام، وأثره في تهذيب النفوس وتربية الضمائر واستقامة السلوك والاعتصام بحبل الله، ولذلك كان رسول الله ﷺ يكثر من الصيام ـ ولنا فيه أسوة حسنة ـ فما كان يمر عليه شهر دون أن يصوم بعض أيامه، وقد روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم

حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم، فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان».

# صِيَامُ التَطوّع

فأما صيام التطوع فهو صيام يؤدي نافلة فليس واجباً ولكن المسلم المؤمن يصوم تقرباً إلى الله وطمعاً في عفوه ورضاه، وهذا الصيام يباح في جميع شهور العام، إلا أنه يحرم في بعض الأيام، ويكره في بعضها الآخر، ويكون مستحباً ومندوباً في أيام خاصة . .

فيحرم صيام يـومي العيدين، لأن صيـامهما يتنافى مع معنى العيد فيهما، فالعيد موسم للبهجة والسرور وتناول شهى الطعام ولذيذ الشـراب،

والصيام لا يتيح للمسلم أن يشارك إخوانه المسلمين في بهجتهم وسعادتهم فكان الصيام لذلك حراماً في هذين اليومين.

وروي عن أبي سعيد: أنه ﷺ نهى عن صوم يوم الفطر والنحر.

ولنفس المعنى الذي حرم من أجله صيام يومي العيدين حرم صيام أيام التشريق[1] الثلاثة، وهي الأيام التي تلي عيد الأضحى، كذلك يوم عرفة للحاج لما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة يطوف في منى ويصيح في الناس: «لا تصوموا هذه الأيام» يعني أيام التشريق، ولما رواه أيضاً قال: نهى رسول الله عن صوم يوم عرفة بعرفة.

---

(1) سميت أيام التشريق، لأن الحجاج كانوا يشرقون فيها لحوم الهدى والأضاحي، أي ينشرونها في الشمس.

وعن عقبة بن عامر رضيء الله عنه عن النبي ﷺ قال: يوم عرفة ويوم النحر وأيام الترشيق عيدنا ـ أهل الإسلام ـ وهي أيام أكل وشرب.

ويحرم على المرأة أن تصوم تطوعاً وزوجها مقيم معها إلا بإذنه، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تصوم المرأة وزوجها شاهد يوماً من غير رمضان إلا بإذنه».

وفي هذا الحديث دلالة على أن الإسلام يحمى العلاقة الزوجية من كل ما قد يسيء إليها ولو كان عملاً مشروعاً ومندبواً، وعلى أن حماية هذه العلاقة طاعة لا يقل ثوابها عن ثواب الصائمين، ولهذا كان أبغض الحلال إلى الله الطلاق، وكانت دعوة القرآن إلى الصلح عند الخلاف والشقاق «وإن خفتم من أهلها إن يريدا إصْلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليمًا خبيراً»، «وإن امرأة خافت

من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا أناح عليهما أن يصْلحا بينهما صُلحاً والصلحْ خير».

ويلاحظ أن القرآن يدعو إلى التوفيق بين الزوجين عند الخوف من الشقاق لا عند وقوع الشقاق بالفعل وهذا يؤكد حرص الإسلام على أن تظل الحياة الزوجية مستقرة تظللها السعادة ويحوطها الأمان والاطمئنان.

ومن الأيام التي يحرم صومها يوم الشك، وهو آخر يوم من شعبان، وسمى كذلك لكثرة ما يشك فيه عند تبين الهلال هل هو من شعبان أو من رمضان؟ وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يومٍ أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صوماً، فليصم ذلك اليوم».

وعن عمار قال: من صام يوم الشك فقد

عصى أبا القاسم[1] ﷺ.

وحكمة النهى أن الصوم لا يجب إلا بالرؤية أو بإكمال شعبان ثلاثين يوماً، فمن تقدم بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم فضلاً عن أنّ ذلك قد يكون ذريعة إلى اختلاط النفل بالفرض وزيادة أيام غير مفروضة ربما أكسبها مرور الزمن وتوارث صيامها حكم الفرضية. والحديث مع هذا ينبه إلى صيام حكم الفرضية. والحديث مع هذا ينبه إلى صيام يوم الشك يجوز إذا جاء موافقاً لقضاء فائت أو وفاء نذر أو عدة كفارة، لأن صيامه في مثل هذه الحالات لا بأس به وليس من استقبال رمضان في شيء فلا تنسحب عليه حكمة النهي التي أشرت إليها آنفاً.

وأما الأيام التي يكره صومها، فمنها إفراد يوم الجمعة أو يوم السبت بالصوم لما روى أن النبي

(1) ابو القاسم: كنية النبي ﷺ، لأن القاسم كان أحد أولاده

ﷺ قال: «إن يوم الجمعة يوم عيد، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده..» وروى بسر السلمى أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم»، أي لا تفردوه بالصوم ألا إذا كان موافقاً لقضاء فائت أو نذر مثلاً.

والسر في النهي عن إفراد يوم السبت أن اليهود تعظمه فيكون في إفراده بالصوم تشبه بهم، وقد نهينا عن التشبه بهم.

ويستحب صيام التطوع في الأيام التالية:

يوم عرفة لغير الحاج، فعن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «صيام يوم عرفة، إني احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده».

ويوم عاشوراء وقد سبق الكلام فيه. وستة من

شوال لما روى عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر».

وثلاثة أيام من كل شهر، فعن أبي ذَر رضي الله تعالى عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام، ثلاث عشرة، وأربع عشرة وخمس عشرة، وتسمى هذه الأيام، بأيام البيض.

وفي رواية عن أبي الدرْداء رضي الله تعالى عنه قال: أوصاني حبيبي بثلاث لن أدعهن ما عشت: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتر.

وهذه الرواية لم تقيد الأيام الثلاثة بالبيض، وهو أصل السنة فيها، ويكون الأفضل صيام البيض.

ويوم الاثنين والخميس من كل أسبوع، لما روى عن عائشة أن النبي ﷺ كان يتحرى صيام الاثنين والخميس[1].

وهناك أيام غير تلك التي ذكرت وردت روايات باستحباب صيامها ومع هذا فإن صيام التطوع إذا كان مندوباً في بعض الأيام فإنه في كل الأيام ـ عدا ما يحرم أو يكره صيامه ـ عبادة مشروعة وطاعة محمودة، وعمل صالح، يهدي إلى الخير.

وإذا كان قد سبق في صيام الفرض النهي عن الوصال فإن صيام الدهر في التطوع منهى

---

(1) انظر المنتخب من السنة جـ 5 ص 226، وتجدر الإشارة إلى أن من صيام التطوع المستحب صيام الصبيان، ولذا يسن تعويدهم على الصيام لتمرنوا على أدائه فيؤدوه كاملاً حين يصبح فرضاً عليهم، وكذلك الحال بالنسبة إلى سائر العبادات؛ فمن شب على شيء شاب عليه.

كذلك، لأن أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قل وكان الرسول يقول: «خذوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا» أي أن الله لا يقطع عن عباده ثواب ما يعملون حتى يملوا ويقطعوا العمل.

وقد روى عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: أخبر رسول الله ﷺ؛ «لأقومن الليل ولأصومن النهار ما عشت، فقال رسول الله ﷺ: «أنت الذي تقول ذلك؟» فقلت: قد قلته يا رسول الله فقال: إنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر ونم وقم وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر» قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك ، قال: «صم يوماً، وأفطر يومين»، قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله، قال: «صم يوماً، وأفطر يوماً، وذلك صيام داود عليه السلام، وهو

أعدل الصيام» قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، قال: «لا أفضل من ذلك» قال عبد الله: لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ﷺ، أحب إلي من أهلي ومالي».

فهذا عبد الله بن عمرو حين علم الرسول أنه قد عزم على قيام الليل وصيام النهار طول عمره أرشده إلى ما يجب أن يفعله في العبادة، وكان عبد الله وقت أن جرى بينه وبين الرسول ذلك الحديث شاباً فتيّاً، وظن أن صيام كل يوم أفضل من صوم يوم وإفطار يوم، ولكن الرسول بين له أن أعدل الصيام هو صيام داود عليه السلام، لأنه وسيلة إلى القدرة على الدوام، ولذلك ندم عبد الله بعد أن كبر وضعف عن دوام العبادة التي التزم بأدائها أمام رسول الله ﷺ.

وفي رواية أخرى أن الرسول قال لعبد الله: لا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك

حقّاً، وإن لعينيك عليك حقّاً، وإن لزوجك عليك حقّاً، وإن لزورك عليك حقّاً، وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام.

ألاَ فليعلم الغلاة والمتشددون والمسرفون على أنفسهم والذين يزدرون ما أحل الله لخلقه من طيبات هذه الحياة الدنيا، أنه لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه وأن أفضل العبادة إلى الله تعالى أدومها وأن قلت، وإن الإنسان في عبادة مستمرة حتى في ساعات نومه ولهوه المباح ما دام القصد من كل ما يفعله طاعةالله ورضوانه.

وإذا كانت النية واجبة في صيام الفرض قبل الفجر فليست في التطوع بواجبة، وكان الرسول عليه السلام يصبح غير قاصد الصيام فلا يجد في بيته الطعام فيصوم كما أن النسيان في صيام التطوع يفسده بخلافه في صيام الفرض ويجوز

الإفطار في صيام التطوع لما روى عن أم هانىء رضي الله عنهـا، عن رسـول الله ﷺ قـال: «الصائم المتطوع أمير نفسه، إن شاء صام، وإن شاء أفطر».

وما دام الصائم المتطوع أمير نفسـه أو أمين نفسه كما جاء في رواية أخرى فإنه حين يزور أو يزار يلزمه الفطر، ليشارك ضيفه أو مضيفه في الطعام والشراب وهذا لون من الأدب الإسلامي يدل على نظرة سامية إلى العلاقات الاجتماعية ويؤكد أن الإسلام دين ذوق وأدب وأخلاق رفيعة تحترم المشاعر والأحاسيس.

روى عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: صنعت لـرسـول الله ﷺ طعـامـاً، فـأتـاني هـو وأصحـابه، فلما وضـع الطعـام قال رجـل من

القوم: إني صائم، فقال رسول الله ﷺ: «دعاكم أخوكم وتكلف لكم» ثم قال: «أفطر وصم مكانه يوماً إن شئت» وروى عن أبي جحيفة رضي الله تعالى عنه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة[1] فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كل، قال: إني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا فقال له سلمان، إن لربك عليك حقّاً، ولنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال

(1) أي تلبس الثياب الممتهنة ويفهم من ذلك إعراض زوجها عنها.

النبي ﷺ: «صدق سلمان».

وهـذا حديث واضـح صريـح لا يحتاج إلى تعليق أو توضيح يقول لمن يفهمون العبادة فهمًا غير سديد إن الإسلام ليس دين تبتل ورهبانية، لأنه دين الحياة المتجددة المتطورة الفاضلة، إنه يدعو إلى إصلاح الدنيا وعمارتها، ويجعل هـذا سبيلا للفوز بنعيم الآخرة.

* * *

وبعـد فهذه أنـواع الصيام كـما تحدث عنهـا كتاب الإسلام وليس منها الصيام عن الكلام، لأن هـذا اللون من الصيـام فيــه تضييق وتعـذيب للنفس، فضلا عن أنه لا يحقق رسالة الصيام كما فرضها الإسلام، وتعد دلالة مادة الصيام عليه كما جاءت في سورة مريم دلالة لغوية لا شرعية ومن

ثم فإن القرآن قد تحدث عن الصيام من الناحية الشرعية واللغوية؛ لأنه كتاب لغة وتشريع، فلولاه لا ندرست العربية في بلاد كثيرة ومن أجله وفي سبيل فهمه نشأت علوم مختلفة، وقامت في الوطن الإسلامي نهضة علمية رائعة.

إن التراث العلمي الذي تفخر به المكتبة العربية والإسلامية هو ثمرة طبيعية لجهود هائلة بذلت في سبيل خدمة القرآن وتيسير أحكامه وإن المحاولات الكثيرة التي قام بها الاستعمار وأتباعه لمناوأة اللغة العربية، بقصد القضاء عليها وبتر الصلة بين المسلمين وماضيهم قد باءت بالفشل، بسبب هذا الكتاب الكريم الذي حفظه الله من كل تحريف وتبديل حتى يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ **إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[1].

---

(1) الآية 9 في سورة الحِجْر.

وأخيراً فهذا ما انتهيت إليه في دراسة آيات الصيام في القرآن وأطمع أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، وأستغفر الله من عثرات القلم واللسان وأسأله سبحانه أن يرزقنا فهمًا سديداً في دينه وعملا طيباً بكتابه وسنة رسوله إنه سميع مجيب . . .

# مـــلحق

## في صَلاة القيَام وَصَدَقة الفِطْر وَصَلاة العيْد

إن شهر رمضان في حياة المسلم قوة روحية لا نظير لها في سائر شهور العام، فهو في هذا الشهر يتزود بطاقات من التقوى تكون له في غير رمضان مصدر هداية واستقامة. فإذا ما أوشك مرور الأيام أن ينال من هذه الطاقات، جاء رمضان مرة ثانية، ليجدد ما بلى ويقوي ما وهن، وهكذا يظل المسلم دائمًا على بينة من أمر ربه إلى أجل معلوم.

وقد تعرضت في أثناء دراستي لآيات الصيام في

القرآن إلى بيان بعض ما يمنحه الصيام من تلك الطاقات، مثل الاعتكاف في المساجد.

وفي هذا الملحق أود إلقاء بعض الضوء على بعض العبادات التي تتعلق برمضان وصيامه، وتسهم في إضفاء الروحية على هذا الشهر الكريم، كما تشير إلى بعض المعاني الإنسانسة والاجتماعية التي يتميز بها الصيام في الإسلام.

# صَلاة القيَام

وتسمى أيضاً التراويح [1] صلاة تؤدى في كل ليلة من ليالي رمضان، وهي سنة مؤكدة للرجال والنساء، ووقتها بعد صلاة العشاء.

روى عن عبد الرحمن بن عـوف رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل فرض صيام رمضان، وسننت قيامه، فمن صامه وقامه

(1) التراويح جمع ترويحة، وهي الواحـدة من الراحـة اسم للجلسة، وسميت بذلك لاستراحة المصلي بين الترويحـة والترويحة، وهي أربع ركعات.

إيماناً واحتساباً، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

والجماعة في صلاة القيام غير واجبة، لكنها مستحبة ومسنونة، يشير إلى هـذا ما روي عن عائشة رضي الله عنهـا: أن النبي ﷺ صلى في المسجد[1]، فصلى بصلاته ناس [2] ثم صلى الثانية فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخـرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «رأيت الذي صنعتم، فلم يمنعني من الخـروج إليكم إلا أني خشيت أن تفـرض عليكم وذلك في رمضان».

وفي رواية أخرى: فلما كانت الليلة الرابعـة عجـز المسجـد عن أهله حتى خـرج لصـلاة

(1) أي صلاة التراويح.
(2) أي ائتموا به.

الصبح [1] فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: «أما بعد، فإنه لم يخف عليّ مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها».

فالرسول الكريم عندما رأى المسلمين الحرص على صلاة القيام معه في المسجد لم يخرج إليهم رحمة بهم خشية أن تفرض عليهم الجماعة في هذه الصلاة لو داوم عليها جماعةً معه في المسجد.

لقد امتثل المسلمون أمر الترغيب في صلاة القيام، إلا أنهم بعد أن أرشدهم الرسول إلى عدم وجوب الجماعة في هذه الصلاة، لم يقيدوا أنفسهم فيها بجماعة، فتارة يصلى الواحد منهم صلاة القيام منفرداً، وتارة يصلونها في جماعات متعددة، واستمر الأمر على ذلك من ترك الجماعة العامة في حياة الرسول وخلافة أبي بكر رضى الله

(1) أي أن الرسول بقي في حجرته حتى يخرج لصلاة الصبح.

عنه، وبعد فترة من خلافة عمر بن الخطاب رأى رضي الله عنـه أن يجمع المسلمـين عـلى إمـام واحد، وكان ذلك اجتهاداً منه، ولم يخالفه في هذا أحد من الصحابة فكان إجماعاً سكوتياً.

روى عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنـه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع[1] متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط[2] فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبّي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون - يريد آخر

(1) أوزاع: جماعات جماعات.

(2) الرهط: الجماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة.

الليل، وكان الناس يقومون أوله[1]

ولا يعنى اجتهاد عمر وموافقة الصحابة له أن الصلاة القيام لا تصح إلا في جماعة بالمساجد، فهي تصح في المساجد والبيوت وفي جماعة غير جماعة، لكن الأولى أن تكون في جماعة بالمسجد ما دام المصلي يقدر على ذلك، كما ذهب إلى ذلك عمر ووافقه الصحابة فهم أئمة الهدى ومصابيح الخير. قال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضّوا عليها بالنواجذ».

وسئل أبو حنيفة عما فعله فقال: التراويح سنة مؤكدة، ولم يتخرجه عمر من تلقاء نفسه، ولم يكن فيه مبتدعاً، ولم يأمر به إلا من أصل لديه،

(1) المنتخب من السنة جـ 5 ص 189.

وعهد من رسول الله ﷺ[1].

وقد أختلف في عدد ركعات هذه الصلاة، فعن عائشة قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة».

وروى عن جابر أن النبي ﷺ صلى بهم ثماني ركعات والوتر، ثم انتظروه في الليلة القابلة فلم يخرج إليهم.

وأثر عن عمر أنها عشرون والوتر[2]، وهو ثلاث ركعات في بعض الروايات. ومع تباين هذه الأخبار فإن المصلي له أن يقتصر ما يقدر عليه ولو كان ركعتين والوتر، كما أن له أن يزيد على ما أثر عن عمر رضي الله عنه ووافقه عليه الصحابة وسار عليه المسلمون من بعده، لأنها

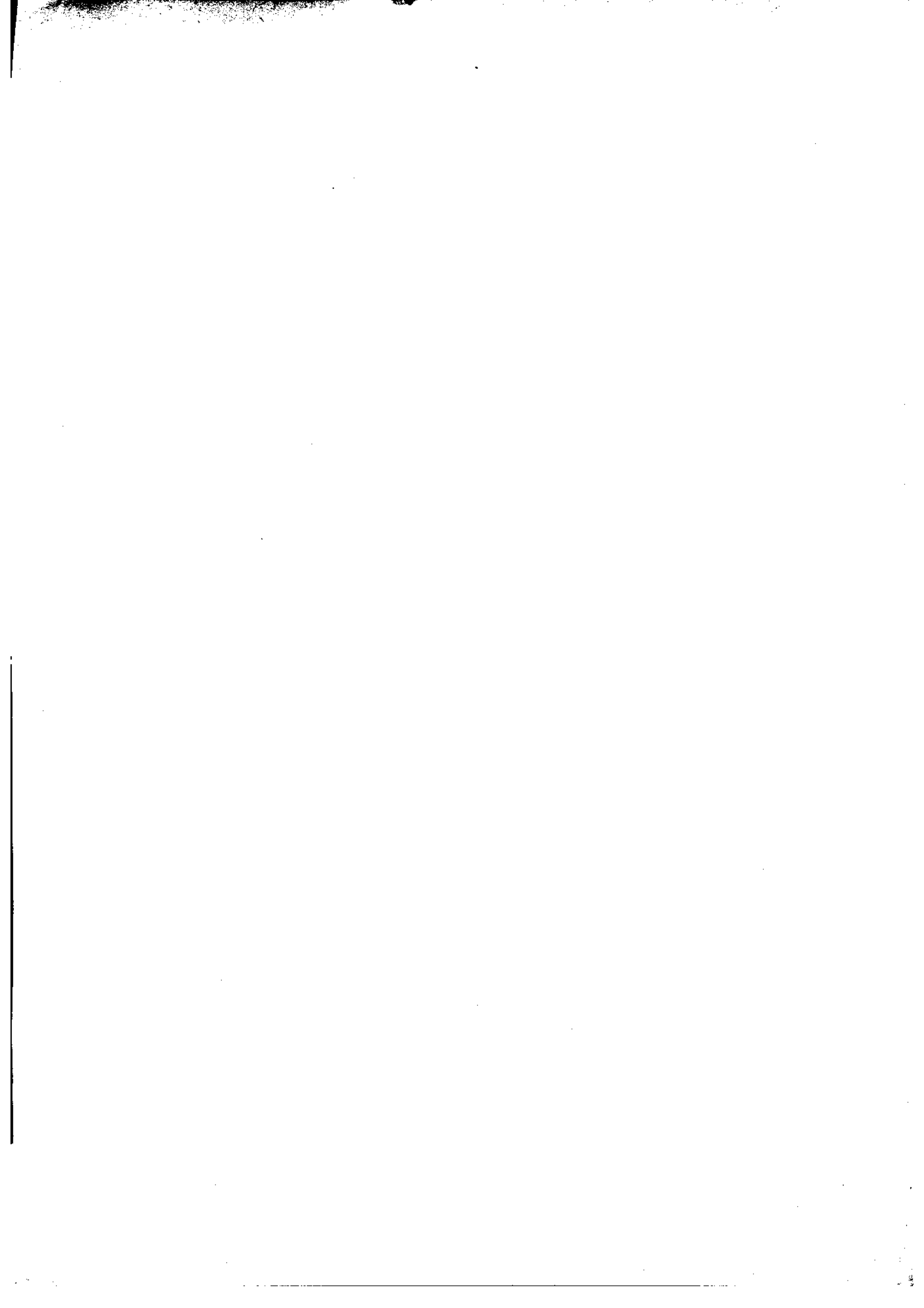
---

(1) عمر بن الخطاب والتشريع الإسلامي للأستاذ محمد أنيس عبادة ص 99.

(2) العبادات في الإسلام ص 80.

عبادة يستكثر منها المسلم ما شاء حسب استطاعته، على أن العبرة في الصلاة بإتقانها والخشوع فيها لا بكثرة ركعاتها أو قلتها، ورب ركعات معدودات تؤدى في هدوء وخشية خير من ركعات كثيرة تؤدى خطفاً، وفي سرعة لا يتأتى معها خشوع.

إن صلاة القيام في رمضان لا تختلف عن صلاة قيام الليل في غير رمضان إلا من ناحية استحباب الجماعة فيها، واستحباب الانتهاء من قراءة القرآن في تلك الصلاة بانتهاء شهر رمضان متى تيسر للقائم ذلك وسنية القنوت في الوتر في النصف الثاني من الشهر الكريم لدى بعض الأئمة.



# صَدَقة الفِطْر

هي ما يخرجه المسلم من ماله للمحتاجين طهرة لنفسه، وجبراً لما يكون قد حدث في صيامه من خلل مثل لغو القول وفحشه.

وروى عن ابن عباس قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة[1] فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات.

---

(1) أي صلاة العيد.

وعن أبن عمر أن رسول الله ﷺ أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة.

فصدقة الفطر أو زكاته فرضت لغرضين:

1 ـ تطهير الصائم من السيئات التي اجترحها في أثناء صومه، مثل اللغو والرفث، فهي تجبر ما عسى أن يكون قد أصاب الصوم من نقص، وهذا خير للصائم، وبر به.

2 ـ سد حاجة المعوزين والتوسعة عليهم وإدخال الفرحة في قلوبهم حتى لا يشعروا بمرارة الحاجة والفقر في وقت يوسع فيه المسلمون على عيالهم في المطعم والملبس ابتهاجاً بالعيد، وفي هذا مظهر كريم من مظاهر التراحم والتكافل بين المسلمين.[1]

وصدقة الفطر واجبة على من ملك قوت يوم

---

(1) انظر العبادات في الإسلام ص 193.

العيد وليلته، لأنها طهرة للصائم، ولا فرق في ذلك بين الغني والفقير، ولذلك يجوز أن تعطى لمن وجبت عليه ما دام فقيراً، ويخرجها الشخص عن نفسه وعن كل من تلزمه نفقتهم من المسلمين.

روى عن ابن عمر أن النبي ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان على كل نفس من المسلمين، حر أو عبد، رجل أو امراة، صغيرة أو كبيرة.

ويجب إخراجها عن كل من أدرك جزءاً من رمضان وجزءاً من شوال، فمن ولد قبل غروب آخر يوم من رمضان، وجب إخراج الزكاة عنه، ولا تجب على من مات قبل غروب هذا اليوم أو ولد بعد غروبه.

وتدل النصوص السالفة على أن وقت إخراج صدقة الفطر قبل صلاة العيد، ويجوز إخراجها

من أول رمضان، ويستحب أن تدفع إلى ذويها من الفقراء والمحتاجين قبل أيام العيد بفترة تسمح لهم بالتوسعة على أنفسهم وإعداد ما قد يحتاجون إليه من الثياب وغيرها.

وكذلك يجوز صرفها للجمعيات الخيرية التي تحتاج إلى ما يساعدها على أداء رسالتها المشروعة، كما يجوز إعطاؤها الجماعات التبشيرية الإسلامية لتتقوى على القيام بمهمتها المقدسة.

وأما مقدار هذه الزكاة على كل فرد فهو صاع من غالب ما يأكله أهل البلد إلا أن يخرج الأحسن فهو أفضل.

روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين».

وعن الحارث أنه سمع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، يأمر بزكاة الفطر فيقول: هي صاع من تمر، أو صاع من شعير، أو صاع من حنطة، أو سلت [1] أو زبيب.

ويجوز إخراج قيمة الصاع نقداً، وهي تختلف باختلاف الأزمنة والأولى مراعاة الأنفع للفقراء والمحتاجين من القوت أو النقد، كما إن الأفضل توزيعها على عدد من المحتاجين حتى يعم النفع بها، ولا يجوز نقلها من منطقة إلى أخرى إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك، كما لو اكتفى أهل المنطقة أو لم يكن فيها محتاجون، أو كان له قريب في منطقة أخرى قريبة يريد أن يعطيه جزءاً منها.

إن صيام رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرتفع إلى السماء إلا بزكاة الفطر، وهذه الزكاة خير

---

(1) نوع من الشعير.

للصائم، لأنها تطهر صيامه من الهفوات واللمم، ونفسه من الشح والبخل، وهي مع هذا لون من ألوان التكافل العديدة في المجتمع الأسلامي، ذلك المجتمع القائم على الإخاء والمحبة، والتراحم والتعاون، والذي يؤمن جميع أفراده بأنهم كالجسد الواحد، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

﴿ محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم تراهم رُكعّا سجدّا يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرجَ شطْأه فآزَره فاستغلظ فاستوى على سوقه يُعجَب الزّراع ليغيظ بهم الكفار، وعدَ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحاتَ منهم مغفرةً وأجراً عظيمًا ﴾[1].

(1) الآية 29 في سورة الفتح.

# صَلاة العيْد

إن الأعياد ظاهرة اجتماعية هامة تعرفها جميع المجتمعات الإنسانية، وهي في كل أمة مظهر من مظاهر شخصيتها، لأنها ترتبط إما بدينا أو بالأحداث الهامة في تاريخها.

وكان للعرب في الجاهلية أيام يحتفلون بها، فلما جاء الإسلام، جعل الله للمسلمين عيدين مرتبطين بعبادتين من أهم العبادات في الإسلام وهما: عيد الفطر بعد صيام رمضان، وعيد الأضحى بعد أن يؤدى الحجاج أهم ركن في

عبادة الحج ـ وهـو الوقـوف بعرفـة. وقال أنس رضي الله عنه: قدم رسول الله ﷺ المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: «ما هذان اليومان»؟ قالوا: يا رسول الله كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال ﷺ: «إن الله قد أبدلكما خيراً منهما يـوم الأضحى ويوم الفطر».

وصلاة العيد سنة مؤكدة على كل من تجب عليه الصلاة، وهي ركعتان بلا أذان ولا إقامة ولا صلاة قبلها ولا بعدها على أرجح الآراء، لما روى عن جابر قال: شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة.

وعن ابن عباس «أن رسول ﷺ خـرج يوم أضحى أو فطر فصلى ركعتين لم يصل قبلها ولا بعدها...

ووقت صلاة العيد بعد طلوع الشمس وارتفاعها نحو رمحين في عيد الفطر ورمح في عيد الأضحى، وأخرت صلاة الفطر ليتسع الوقت قبلها لإخراج زكاة الفطر لمن لم يكن قد أداها، ولأنه يستحب الأكل قبل الخروج في يوم الفطر دون الأضحى، فقد روى عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل ولا يأكل يوم الأضحى حتى يرجع. وإنما عجلت صلاة عيد الأضحى ليتسع الوقت بعدها لذبح الضحايا ﴿ **فصلّ لربّك وانحر**﴾.

ويستحسن أداء صلاة العيد في الميادين العامة والبطاح الواسعة إلا لضرورة، لما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنهم أصابهم مطر في يوم عيد، فصلى بهم النبي ﷺ صلاة العيد في المسجد.

ولا تختلف صلاة العيد في كيفيتها عن النوافل

غير أن الركعة الأولى يزيد فيها المصلى بعد تكبيرة الإحرام ودعاء الاستفتاح وقبل التعـوذ والقراءة سبع تكبيرات، يفصل بين كل تكبيرتـين بنحو نصف دقيقـة يسبح فيهـا بمثـل ﴿**سبحـان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**﴾ ثم يتعوذ ويقرأ الفاتحة والسورة، أما الركعة الثانية فيزيد بعد تكبيرة القيام خمس تكبيرات ثم يأخذ في قراءة الفاتحة. . .

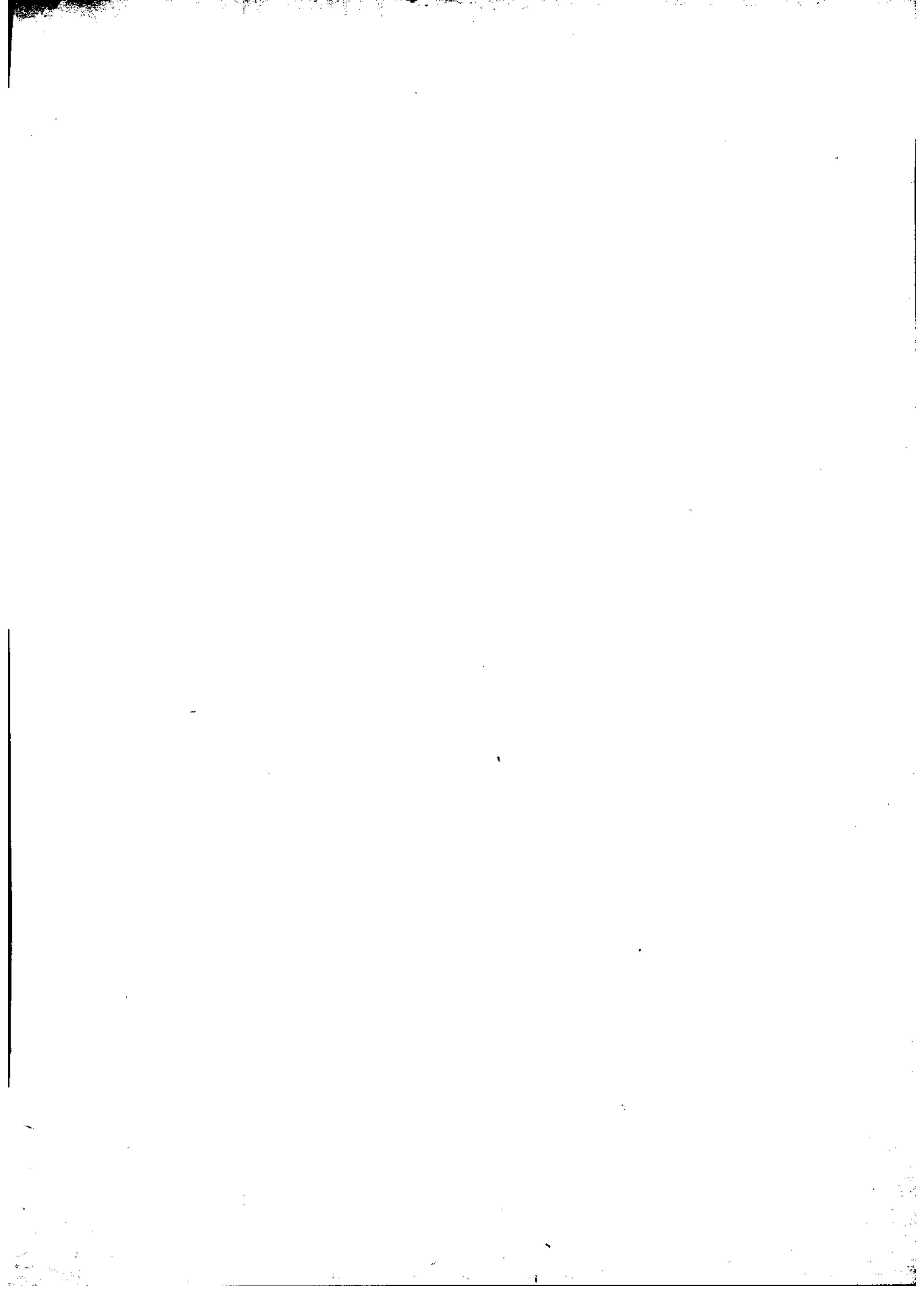
ويندب أن يخرج المصلي إلى مصلي العيد ماشياً يجهر بالتكبير مبكرا ويستمر في التكبير حتى يدخل الإمام في الصلاة. . .

وبعد أن ينتهي الإمام من صلاة العيد يصعد المنبر ويخطب خطبتين خفيفتين يرشد الناس فيهما إلى ما يجب عليهم فعله يوم العيد من البشاشة والصفاء والحب والتغاضي عن الهفوات السابقة بين المسلم وأخيه. . وهما كخطبتي الجمعة غير أن

خطبتي الجمعة شرعتا قبل الصلاة أما خطبتا العيد فإنهما بعد الصلاة، كما أن خطبتي الجمعة تفتتحان بالحمد لله، وأما خطبتا العيد فإنهما تفتتحان بالتكبير، وتفتتح الأولى منهما بالتكبير تسعاً، وأما الثانية فتفتتح بالتكبير سبعاً وتختتم بقول الله تبارك وتعالى:

﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين** ﴾.

**والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.**



# المصادر

## القرآن الكريم

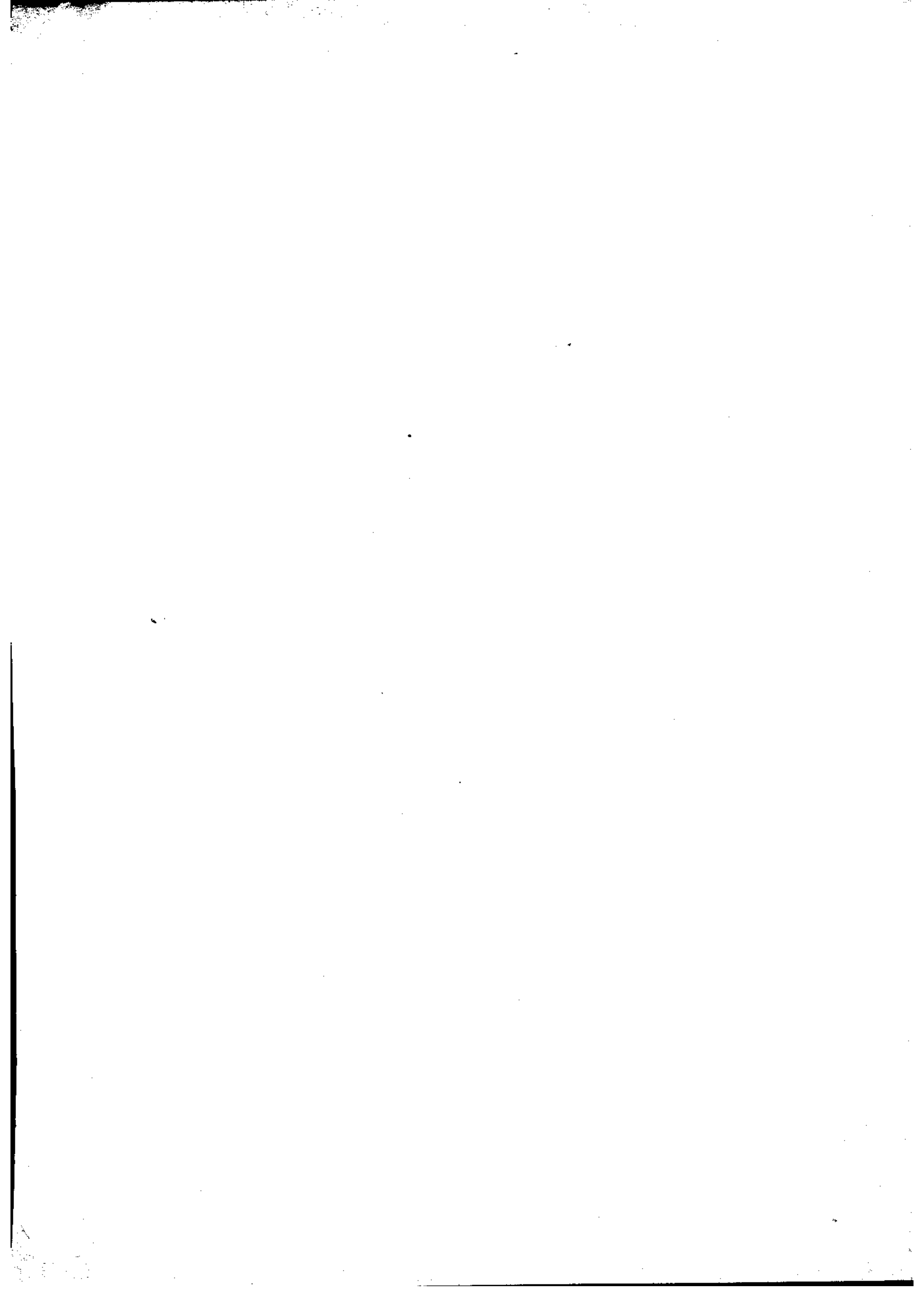
1 ـ أحكام القرآن لابن العربي.
2 ـ أحكام القرآن للجصاص.
3 ـ إعلام الموقعين لأبن القيم.
4 ـ تفسير الألوسي.
5 ـ تفسير البحر المحيط لأبي حيان.
6 ـ تفسير الخازن
7 ـ تفسير الطبري.
8 ـ تفسير القرطبي.
9 ـ تفسير المراغي.

---

(1) أثبت هنا مصادر البحث، أما مراجعه فقد اكتفيت بذكرها في الهامش.

10 ـ تفسير المنار.
11 ـ الرسالة للإمام الشافعي.
12 ـ رسالة الصيام.
13 ـ صوم رمضان لفضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن تاج.
14 ـ الصوم والأضحية بين الإسلام والأديان السابقة للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي.
15 ـ العبادات في الإسلام للدكتور محمد إسماعيل عبده.
16 ـ علم أصول الفقه للمرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف.
17 ـ عمر بن الخطاب والتشريع الإسلامي للأستاذ محمد أنيس عبادة.
18 ـ الفتوحات الإلهية للشيخ، سليمان الجمل.
19 ـ الفهرست لابن النديم.
20 ـ فقه القرآن والسنة (القصاص) للمرحوم الشيخ محمود شلتوت.
21 ـ القواعد النورانية الفقهية للإمام ابن تيمية.
22 ـ الكشاف للزمخشري.
23 ـ مجلة الرسالة.
24 ـ مجلة الوعي الإسلامي.
25 ـ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني
26 ـ المنتخب من السنة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية...

27 ـ الميزان في تفسير القرآن. للسيد محمد حسين الطباطبائي.
28 ـ من هدى القرآن في رمضان. للمرحوم الأستاذ أمين الخولي.



# الفهرست